مملكة الغرام

الرواية مصرية . غرامية . مؤثرة خيالها راق . اسلوبها متين

بقلم

محمود محمد الصرفي

(باستئناف مصر)

﴿ الطبعة الاولى ﴾

« حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

١٣٤٥ — ١٩٢٦

اهداء الرواية

هذه مملكة الغرام أهديها لأربابها

محمود محمد الصيرفي

obeikandl.com

محمود محمد الصرفي

BIBLIOTHÈQUE EGYPTIENNE
دار الكتب المصرية
EGYPTIAN LIBRARY

obeikandl.com

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على من ظهر النور على يديه . فقد وعدت حضرات القراء بأن أقدم لهم روايتي الثالثة وها أنا قد قضيت هذا الوقت الطويل في الجنى من ثمار الخبرة والتجربة حتى جئت لهم بزهرة الروايات الادبية وعروس القصص الغرامية وهي رواية

مملكة الغرام

فها هي أقدمها بين يدى أخواني وأؤمل أن تنال ماناله روايتي السابقة

ولما كان الانسان ليس معصوما من الخطأ فاني أطمع في التجاوز عما ترونه من خطأ مطبعي أو زلة قلم . وفقني الله وإياكم الى ماتتمناه لانفسنا من الفلاح ؟

محمود محمد الصيرفي

مؤلف روايتي الهوى العذري وقاتل أبويه

الفصل الاول

فى القطار

تحرك قطار المساء من محطة كوبرى الليمون في اتجاهه إلى محطة المرج وكان هذا المساء من أيام تخرج فيها الزهور من نفثاتها الرائحة الزكية بعد أن تفتحت اكمامها والهواء يداعب الأغصان فيجعلها تنشد أناشيد الغرام وهى تتراقص تيها بنفسها وشكراً لله على ماأولاها من نعمة .

كان يجلس فى عربة الدرجة الأولى من هذا القطار شاب متأنق فى ملبسه جميل فى خلقه وخلقه وتحبه العين من أول نظرة لجماله الجذاب ومحاسنه التى أمتاز بها وجهه الصبوح ويدل مظهره على أنه متعلم تعليما راقياً وكان فى الواقع ملماً بكثير من اللغات الأجنبية التي أكسبته زكاء ورقه حببت فيه الأصدقاء وملكته على قلوب الحسان .

وكان هذا الشاب جالساً وبيده أحدى المجلات الاسبوعية مشغولا بقراءتها ويظهر أنه صادف ملحة أضحكته ضحكا عاليا فتلفت الشاب حوله خوفا من أن تكون قهقهته هذه قد تركت أثراً سيئا فى نفوس الركاب ولكنه اطمأن حين

جال ببصره في كل ناحية فلم يجد أحداً سوى رجل بدين اقفلت الخمر عينيه فاستسلم للنوم وفتاة كانت جالسة على مقربة منه تقرأ أحدى صحف المساء فحدثته نفسه بأن انشغالها في المطالعة ربما جعلها لا تنتبه لضحكته وقد كان من مبدئه مراعاة شعور من حوله ولو أن القراءة مما يسهل قطع الطريق في الاسفار حتى ولو كانت المسافة قصيرة فأنه يرى أن تكون داخلة في حدود الأدب والوقار وهو لا يجهل مقدار السآمة التي يشعر بها المسافر من جار له يضايقه بنشر الجريدة على آخرها بين يديه وقراءته بصوت مسموع ولكنا نلتمس عذرا لابراهيم فأن النكتة كانت متينة جمعت بين المفارقة واللطف مما جعله يخرج في الضحك عن الابتسام وخدمته الظروف في خلو العربة من الركاب سوى ذلك النائم وتلك الفتاة

وداعة الفتاة الظاهرة عليها جعلت انظار ابراهيم تتجه اليها ولكنه كان يخشي أن تلاحظ عليه اهتمامه بها ولكن انهماكها في القراءة اعطاه الفرصة للتفرس فيها

وهنا نظرت الفتاة الى الطريق من النافذة فوقع بصرها على ابراهيم الذي كان يتصنع الانهماك في القراءة والخبير

بالغرام لا يجهل أن نظرات ابراهيم كانت تخترق ورق الصحيفة لترى الفتاة . فكانت نظراته هذه تقع على جمال بهره فمرت على ذاكرته منظومات الشعراء في الغرام فلم يجد فيها وصفا محكما لهذا الجمال . ترك النظم والتمس النثر فلم يوفق الى ما ينى حق هذه الغادة الهيفاء من المدح والتقريظ . جمد ابراهيم فى مكانه وغاب عن صوابه وأنا وأنت نعرف أنه فى القطار قاصدا محطة « الزيتون » ولكنه هو كان لا يدرى أراكبا طيارة أم قطارا جالسا أم واقفا متيقظا أم نائما .

وهنا مر عامل القطار يفتش على الراكبين وتقدم نحو الافندى البدين وأيقظه من نومه فحاول أن يفتح عينيه ولكن كان يحاول عبثا فتحها فقد اقفلتا من شدة تأثير الخمر التي لعبت برأسه لعبا جعله يتمايل ويترنح . ولو انصفت السكه الحديد لطلبت منه ثلاثة اضعاف ما تأخذه من غيره انصافا للناس وليكون الشيء موضوعا فى موضعه

تنبه الافندى قليلا وقال للكمسارى متلعثما

— عاوز أيه ياجدع ؟

— التذكره يابيه

— وضع يده فى جيوب الجاكته واحدا واحدا فلم يعثر عليها فاستأنف البحث فى جيوب البنطلون فلم يجدها واخيرا وضع يده في جيوب الصديرى فلم يجدها أيضا

كل هذا والكمسارى واقف امامه ينظر اليه نظرة الاشمئزاز الممزوجة بشيء من الاحتقار والسخرية والاستهانة.

فهم الرجل معنى نظرة الكمسارى فأعاد البحث والتنقيب مرة اخرى ولو كان بحثه الطويل وجه الى اكتشاف قبر توت عنخ آمون جديد لاكتشف فى أقل من ذلك الوقت ولكن كان بحثه في هذه المرة فيما بين القماش والبطانة فعثر عليها فى الجهة الخلفية اليسرى من الجاكته فأراد اخراجها فلم يستطع واخيرا أخرج مطواة وفتح بها موضع الخياطة واخرجها وقدمها اليه بعنف وشدة فى شيء من الافتخار فتناولها الكمسارى وبمجرد أن وقع نظره عليها استغرق فى الضحك مما جعل الشاب والفتاة ينظران بدهشة منتظران النتيجة فقال الكمسارى : . .

— ياسيدى البك حضرتكم مسافرين لطوخ وأنت الآن في محطة عين شمس . فضحك الجميع لهذه المفاجأة

الغريبه الا أن الفتاة سرعان ماخفق قلبها واضطربت حين علمت انها تركت محطة الزيتون التى كانت تريد النزول فيها وارادت ان تنزل فى هذه المحطة التى وقف بها القطار الا أن الكمساري اشار عليها بأن تنتظر قليلا وبعد خمس دقائق يصل القطار الى المرج ومنها تعود بالقطار نفسه الى الزيتون لانه لايوجد قطار سابق لهذا فتعود فيه فاقتنعت الفتاة بمشورته .

— واستطرد الكمساري فى الحديث مع الافندى « الطوخي » واخبره بأنه لابد من دفع ثمن تذكره مضاعف من محطة القاهره الى المرج . وبعد جدال ومناقشة فاز فيها الكمساري وسرعان مادفع ثمن التذكرة مضاعفا لان الافندى ادرك موقفه أمام رؤساء المصلحة اذا أدت المسألة إلى ذلك . ثم واصل سيره الى أن وقف فى محطة المرج ولم يسبق لهذه الفتاة أن بلغت نهاية هذا الطريق وهي محطة المرج .

ألقت الفتاة الجريدة من يدها بعنف وغضب دون أن تنطق بكلمة لانها كانت تفكر فى أمر جلوس ابراهيم أمامها وعدم تركه القطار وقد مر على جميع المحطات

ساد سكوت طويل حتى تحرك القطار عائدا من المرج فقطع هذا السكوت صوت ابراهيم قائلا :ـ

ـ أظنك ياسيدتى تألمت كثيرا لهذا الحادث وهذه سيئة من سيئات الصحف فقد جعلتنا نغفل عن بيوتنا

ـ صمت .....

ـ ولكنها غلطة ميسورة التصحيح

ـ ابتسامه دلال من غير أن تنظر اليه

ـ لو يقبل التمنى لتمنيت أن أملك من المال ما يمكننى من انشاء طريق للقطارات بين محطة القاهرة وبين منزلك لكي لا يفوتك

ـ شكراً لك يا عزيزي

ـ ولو علمت أنني أصبت بما أصابك لهان عليك الامر فاذا نظرت إلى ذلك البرميل « مشيرا الى الرجل السمين » وعلمت الفرق بين المرج وطوخ لقلت بلوى أخف من بلوى

ـ تبتسم وتخفى الابتسام

ـ ومن يدرى فربما نام هذا الرجل وبدلا من أن ينزل فى طوخ نزل فى فرنسا العسل وربما سرقت نقوده وفقد

طريقه فتكون مصيبة مثلثة الاضلاع وهكذا السهو والا فلا

ـ ضحكة مسموعة

ثم القت بعد ذلك نظرة على ابراهيم فوجدته جميلا متأنقا فضلا عن رقة اللفظ ورشاقة الاسلوب فى الحديث فكانت سعاد كلما وقف القطار اطلت من النافذة لتري أي محطة بلغت إلى أن وقف القطار بمحطة الزيتون فقامت وقام ابراهيم ونزلا فحياها فردت عليه التحية باحناء رأسها قليلا وسارت فى طريقها وقلبه يتمزق واحشاؤه تتقطع لفراق هذه الحسناء وتواري تلك المحاسن التى تجمعت فيها .

ابراهيم متعلم تعليما راقيا قل أن تجده الا فى القليل النادر فالعلم والمال تأثيرهما فى الاخلاق قليل والعقل الاكبر للتربية الاولى والبيئة . فأن سألت ولدك الذي لم ينل من العلم الا قليلا وقلت له يا ولدى العزيز

ـ العلم افضل ام الادب ؟

لا جابك على الفور

ـ الادب افضل من العلم

واذا قارنت بين المال و الاخلاق لوجدت أن المال كان في كثير من الاحيان سببا في انحطاط الاخلاق والتمادى في الفساد خصوصا مع الشبان ولكنك كنت ترى ابراهيم نال الحظ الاوفر من العلم والادب والمال . فاذا جالسته أحببته لأدبه وفضلته لمكارم أخلاقه

نزل ابراهيم عقب نزول سعاد في محطة الزيتون ومنعه حياؤه وأدبه من تتبع أثرها كما يفعل الشبان الفاسدون من اقتفاء أثر الفتيات وياليتهم يتبعونهن صامتين فكثير ماتسمع منهم الفاظا تصيب الآذان بوقر مؤلم وتذيب الافئدة خجلا وقد تكون الفتاة لم تذق للتهتك طعما فهنا يكون البكاء على الفضيلة والرثاء لمكارم الأخلاق .

لم يفعل ابراهيم شيئا من هذا ولكنه شيعها بنظرة حتى توارت عن عينيه .

وعاد إلى منزله وهو لايدري أمجنون أم عاشق أم مريض ؟

عاد إلى منزله فاقد الصواب وأستولت عليه الهموم والأفكار ولو رأيته على تلك الحال لحرت في أمره وما

يمكنك أن تحكم علي ماألم به ولا يدرى بنفسه إلا نفسه

قضى ليلته ساهراً يتقلب علي مثل الجمر وخيل اليه أن السعادة قد هجرته وأصبح بحالة يرثي لها وكان لا يمر أمام مخيلته إلا ماهو محزن ومؤلم تضاعفت أحزانه وكثرت آلامه وتذكر أيام والديه . . . آه . . . أنه فقيد الوالدين الذين خلفا له ثروة طائلة وعلماه علما غزيراً وورث عنهما الاخلاق الطيبه وتركاه وحيداً فريداً يفكر فيما سيكون من أمره فأن المزايا الثلاث التي حازها ابراهيم تؤهله لأن يشغل المناصب الحكوميه فقد نال فوق شهادته المصرية العاليه شهادات من أوروبا تقربه من أرقى المراكز وأعلى الرتب . وان أراد أن يمارس المهن الحره كالتجارة مثلا أوأى عمل حر آخر فلا شك من نجاحه فالتجارة مثلا تستلزم المال والعلم وشرف المعاملة وصدق القول . ولكن الشرف والصدق أساس نجاحها وسبب رواجها وسر تقدمها .

ترك ابراهيم كل ذلك وأصبح لا يفكر في شيء قط سوى سعاد التى لم يعرف اسمها بعد وقد حمل لها قلبه الحب الطاهر وعقله الفكر السامى ونفسه المبدأ الشريف وهذه الثلاث

تتجلي فيها عظمة الرجل.

غردت الطيور وصاحت الديكة مؤذنة بقرب خروج الشمس من خدرها .

طلعت الشمس ومالت باشعتها الذهبيه على الكون فاضاءته بعد أن كان في ظلام حالك والقت باشعتها الى الارض فزادت في جمالها ورونقها . قام ابراهيم من مضجعه بعد أن أضناه السهر وفتح نافذة غرفة نومه التى اعتاد الجلوس بقربها فى كل صباح ولكنه وجد أن كل حركة يعملها ليست عاديه وأن كل شيء أمامه عجيب غريب .

نادى خادمه حامد فظنه ليس هو وأنه قد تبدل بغيره حتي خيل اليه أن يناديه باسم غير اسمه .

قدم اليه الخادم حامد طعام الصباح فلم تلمسه يده ولم تطلبه نفسه ولم يجد غير التدخين يقطع به الوقت فصار يشعل اللفافة تلو الاخرى .

كان ابراهيم يقول في نفسه ما اتعسنى وما اشقانى لم احظ منها بشيء سوى مجرد الرؤية لا اسمها ولا مكانها .

ثم خطر له خاطر اصفر له وجهه وتقلصت شفتاه

وقال بوجل

هل هى سيده أم عذراء وان كانت سيده فمن هو زوجها السعيد . ثم جاهد عقله وغالب نفسه حتى طره هذ الخاطر الى الضحك فضحك ضحكة ملؤها اليأس. وهمس قائلا

كفى أنى تطلعت اليها فكانت نظرتى لها سببا فى شقائي الى الأبد ان لم تكن لى وكيف اعرف عنها ما تتوق نفسى لمعرفته

ـ من أين هى ،

لعلها تفكر بى ؟

وهل حديثى القصير معها يجعل مثلها تفكر فى مثلى ؟

ليست لى من الجرأة مايشجعنى على أن اسألها ما اسمك ؟

واين سكنك ؟

وهل أنت آنسة أم سيده ؟

هذه أوهام وليس لى الا أن اسلم أمرى لمن بيده تسير الامور فهو وحده يتولاني برعايته ورحمته فأمرى موكول الآن للعنايه الآلهيه فأما الحياة وأما الموت شأن كل من فتنته عيون الحسان وسحره جمالهن الفتان فليس لدي وسيلة استضيع معها صبر ولا طريقة استمد منها السلوي والنسيان ولم اهتد

الي فكرة ارتاح لها ولم أقف عند نقطة يمكنني الوقوف عندها

عجبا والله عجبا !

كيف اسلوها أو أنساها وكل ما فيها يشغف القلوب وليس فيها شيء يشجع من يراها على أن ينساها يقول المحبوب . . .

انهم لا يعيشون بغير حب وأنه ليس بأنسان من لم يحب عاشق وبعضهم يتصيد الي الحب لكي يسكن قلبه الخالي

وآخر يقول أني فاقد الحواس مادمت اعرف الحب وأنه يسعد له العيش ويؤنسه في وحدته ويعينه في محنته وأنه أسمى ما يتمناه الانسان واحب ما يرجوه ويؤمله . فالزهرة اذا مر بها النسيم تتمايل كانها تبعث من انفاسها الزكية ما معناه الحب وليس كالحب شيء يسهل الصعاب ويذيل العقبات ويمد الانسان بشاعة معنويه ولكني أرى نفسي بخلاف هؤلاء وعلى عكسهم فاذا أردت أن أمدح الحب اقول أنه حرمني من النوم وسلبني سعادتي وهنائي واشقاني حتى اصبحت من أجله افضل الموت على الحياه . . . ولكن يمكنني أن

أقول أيضا حتى أفى كل شئ حقه

أن الحب وأن كان فى أوله مرارة ففى اخره حلاوة ويستحيل على أى انسان أن يلتمس السعادة فى أى شئ الا بعد أن يقاسي شيئا من الألم والشقاء والخبرة كفيله بأن تعلم الانسان ذلك فالانسان لم يولد عاشقا ولا عالما مثلا فاذا اردت أن تكون عاشقا فتحمل آلام العشق ومرارة الغرام

وأن تقلبت العلم فثابر على مواصلة الليل بالنهار حتى تكون متعلما وجد واجتهد تتصل الى غايتك التى ترجوها اذا فلا بد لى من تحمل آلام الحب ما دمت اصبحت محبا .

يا آلهى رفقا بى اسألك الشفقة والرحمة فأنى لم اذق طعم الحب قبل الآن . وكثيرا ما هزأت بالمحبين وسخرت بالعاشقين لاني كنت أظن أنه ليس هناك شيء اسمه حب الا اذا كان طاهرا خاليا من الغايات بعيدا عما يدنسه وحبي هو من ذلك النوع الطاهر ولكنى لا أقوى على احتماله فاذا كان حبا لغاية فيزول متى زالت الغايه وان كان لسبب فني بفناء السبب .

وحبي هذا لا يفنى ولا يزول الا اذا فنيت أنا من العالم

فأن الحب الطاهر الذى أنشده هو الحياة وهو القوة وفيه السعادة باكملها ومنه العدل والانصاف .

كنت اهزأ بالحب فصح قول الشاعر

الحب صعب فلا تعبث بصاحبه

فربما قتلتك الحاء والباء

ففي هذين الحرفين معني كبير بل معان كثيره حارت عقول كبيرة فى فهمها لقد ابتليت كنت استخف به واصبحت عاشقا مغرما . وعلي أن احافظ علي عقلي بقدر مااستطيع فأن بقي عقلى تلاشى جسمى وأن ذهب عقلى نسيت الحب ولا مفر من تضحية احد الثمينين : . أما الجسم واما العقل .

بقى شيء واحد لم اعرفه وسأجتهد نفسى لأعرفه وهو أنى احببت تلك الفتاة هذا الحب الذى أصبحت أنشده فى كل لحظة حتي اصبحت أمقت وأكره كل حديث لا يتخلله الغرام ولا ينم عن الهوى فهذه هى الحال عندي ولكن ماحال فتاتى الآن هل هى تفكر فى أو تمر أمام مخيلتها ذكراي ؟

هذا مالم أعرفه حتى الآن وعما قريب اعرفه انشاء

الله . ولكن بواسطة من ؟

من يوصلني الى معرفة ذلك ؟

فاتني أن اتتبع خطاها لاعرف مسكنها ولكن منعني حيائى من ذلك ! ! !

لو كان معى خادمي حامد لكلفته بهذه المهمة وعرفت أين تسكن سارقة فؤادي . كان يتم هذا اذا خدمتنى الظروف ولكن هذا محال فكيف تخدم الظروف العاشقين فأن خدمت الظروف العاشقين كان الامر سهلا هينا وكنت اذا عشقت التجأت الى خدمة الظروف ولكن الظروف لاتخدم عاشق فأن خدمته أبعدت عنه مرارة العشق وكانت سببا في هنائه وسعادته ..

وأين المحب الهناء والسعادة بغير ألم وشقاء ومرارة .

اعتدت أن أركب مساء كل يوم نفس القطار الذى تقابلنا فيه معا ولكنى لم ارها قبل اليوم ! ! ! أظنها لاتكن من سكان الزيتون بل قادمه لزيارة صديقة أو قريبة لها فأن كانت قريبه فمن المحتمل زيارتها فى المساء اذا كان الامر يستدعي ذلك واذا كانت صديقة فلا أظنها تزورها فى المساء

خصوصا في مثل هذا الوقت المتأخر

أن خير وسيلة لى هى أن أمضى وقتا طويلا فى المحطه حتي استطيع أن أراقب جميع الركاب القادمين اليها والمسافرين منها وبهذه الطريقه يمكنني اذا انعكست الآيه وخدمتني الظروف هذا من فضل ربى ولعله يوفقنى الى أن أصادفها فى الطريق أو فى القطار

الفصل الثانى

المناجاة

واظب ابراهيم علي التوجه الى محطة الزيتون يومياعله يحظي برؤية حبيبته فكنت تراه يجلس من الصباح الى المساء لكى يراها ولكنه لم يرها

استولى اليأس علي قلبه وفضل العزلة والابتعاد عن كل الناس فكان يلازم غرفته ليل نهار ولا يبارحها قط ولا يشغل باله شيء فى هذا العالم سوي حبيبته

فكان شخصها دائما ماثل أمامه وذكراها لاتفارق قط لسانه فكان يقول :-

كم احبها . سحرتني بعيونها وتتنتني بجمالها الذي لو عرفت كلمة أبلغ من « جميل » لوصفتها بها . أنها فاقت كل ماهو مألوف ومعروف بيننا ياجمال . اصبحت عيني لاتبصر وأذني لاتسمع وبالاجمال فقدت كل حواسى واصبحت لاأملك سوى قلبي المعذب بحبها المتألم من غرامها فقلبي وحده الذى يبصر ويحس ويسمع مازالت محاسنها أمام عيني ومازلت اذكر

تلك الساعة التى قضيتها معها فى القطار وكم كنت أود أن يكون سفرنا طويلا لاأمتع نفسي بالتطلع الى وجهها الصبوح ولكن ماكل مايتمنى المرء يدركه * تأتى الرياح بمالا تشتهي السفن

ساستمر في حبى لها حتي الموت . أصبحت لاأفكر الا بها ولا أرى الا شخصها ولا اسمع غير صوتها ولا أصبو لشيء سوى محاسنها ولا تسرني رؤية ولا يعجبنى منظر امهما كان جميلا غير رؤيتها فكأننا خلق كل منا للآخر . فقدت السمع والبصر واصبحت أعمى وأصم شارد الفكر مشتتا لاأصلح لشيء ما

اذا جلست مع اصدقائى خيل اليهم أن صديقهم بالامس لم يكن صديق اليوم فقد تغير شكله وتبدلت احواله . يقولون أين الذكاء والرقة والرشاقة والذاكره الحاضره والنكاة الظريفة اللطيفة . قد زالت كل هذه المميزات واصبح صديقهم تمثالا أدميا لايسمعون منه غير التنهدات تتلوها الزفرات من حين لآخر

كان اذا تحدث مع صديقا له تظاهر له بالاصغاء والانتباه وهو في الحقيقة لم يدخل اذنه حرف واحد من كلام محدثه سوى انه يضحك كلما ضحك ولكن ضحكته كانت ملؤها الالم والفجر

ولما وجد نفسه عاجزا عن أتقان دوره فضل أن لا يقابل أى صديق من الذين كانوا يترددون عليه لزيارته . ونبه على خادمه حامد بأن ينكر وجوده لكل من أتى للسؤال عنه مادامت روحه اصبحت تائهة فى بحار الحب تدفعها تياراته القاسية

سلمت لها قلبى تفعل به ماتشاء ولكن لست ادرى ماهى فاعلة بى وياليتها كانت تذكرنى ولو فى كل يوم مرة مقابل تفكيرى فيها على الدوام

أني لا أملك غير قلب خفاق وقد وهبتك أياه فرفقا به أيتها الحبيبة ودعينى اعيش على اعتقادي هذا ففى هذا الاعتقاد شبه الامل وأظنك تعرفين أن الانسان لا يستطيع الحياة بغير أمل فكيف اعيش من غيره

أنا عاشق وبائس في آن واحد .

عاشق لأنى ذقت مرارة العشق وهاهي نار الغرام موقدة فى قلبى ولهيبها يمزق كبدى .

وبائس لأنى لم أحظ برؤية من أحب سوي لحظة مرت على وأنا في القطار خلفت لى الشقاء وتركتني فى حزن دائم وألم مستمر .

فضلت أن أعيش بين جدران غرفتي حيث أجد السكينة والهدوء ولكن السكينة قد زادت الآمى فلا الوحدة اطيقها وأمل مخالطة الناس .

أني مازلت فى مدرسة الحب والحب مدرسة الحياة قلوب العاشقين طلابها فهل من مدرسة أخرى التحق بها فأترك دروس الحب وأتلقى دروس الصبر والسلوان ! !

حبيبتى

هنائى وسعادتى أن أراك ولكن أين ومتي احظي بأمنيتى هذه . أظنك لم تفكرى فى قط ولم تستعرضى أمام مخيلتك شخص ولم يمر أسمى على لسانك لأنى أنا وحدى صاحب ذلك القلب الذى يتعذب من أجلك ويحترق من بعادك وياليته ماانخدع بانظرات الفاتنات بل وياليته لم يعرف الهوى وليت كلمة الحب لم تخلق حتى لاتربط القلوب بذلك الرباط المتين .

يقول بعضهم أن المرأة تحتقر من يحبها مالم تحبه هي أيضا . واظننى قد أصبحت محتقراً فى نظرها لانى احببتها ولم أدر من أمرها شيئاً أنى أشعر بأني أصبحت قاسي القلب

متحجر الفؤاد لا اعقت على أحد ولا أرق لاحد بالرغم من أن الحب يهذب النفس فأن خطيت برؤيتها أظن أنه لا يوجد على وجه الأرض من يكون أشفق مني على البؤساء والمنكوبين ولا أرفق على بالاشقياء والمعذبين

نفسي جازعة وعيني دامعة وقلبي يخفق علي الدوام ولست أدرى هل تدوم بى الحال على هذا المنوال أنى اصبحت أشد زهداً فى الحياة من شيخ حطمته السنون فصح فى قول الفيلسوف فيكتور هوجو

عوى الذئب فاستأنست للذئب اذا عوى
وصوت انسان فكدت أطير

رباه

أى جريمة ارتكبت لاستحق من أجلها هذه الحياة المؤلمه

ساتخلص من هذه الحياة المره وهذا العيش التعس وساترك الزيتون والقى عصا الترحال فى جهة أخرى فما دمت قد بعدت عنها فربما أكون قد نسيت كل شيء فأني اذا جلست في المحطه ورأيت القطار قادما ظننتها آتية بين ركابه واذا ابرح القطار الزيتون مررت على جميع الركاب

قبل مبارحة ظنا منى أنها ربما قد ركبت دون أن أراها اشعر بمرورها عنى وعلى هذا الحال كم قطار يأتى الى وكم قطار يقوم من عندى

واذا وقفت فى المكان الذى شيعتها بنظري فيه لاول مرة والقيت النظر امامي وخلفي ويمينى ويسارى فلا يقع نظرى على شيء سوى تخيلات تزيد النار اشتعالا

فيستحق أن أترك الزيتون ! !

ولكن الى أي جهة أقصد ؟

وفي أى مكان يكون مقري ؟

أن تزحت عند الديار المصريه واقمت فى احدى المدن الاوروبيه ربما لا أجد الى الراحة سبيلا ولا الى السعادة طريقا فهذه هى صالي وأنا وهي فى ضاحية واحده فما بالك لو اقمت فى مدينة كباريس مثلا لا شك في أن شقائي سيضاعف وتقضى الافكار على البقية الباقية من جسمى الذى اصبح تخيلا من كثرة ما أنا فيه من هموم واحزان ولكن يمكننى أن أترك الزيتون واقيم في جهة قريبة منها فأن نسيتها رحلت الى باريس ولن اعود الى مصر ابدا

ولكن عجبا أفضل باريس على مصر المحبوبة مصر :
التي نشأت بها وتربيت فوق ارضها وتحت سمائها
مصر : ربة الجمال التي أعجب بها الغربيون
مصر : ذاك النجم الساطع في سماء العلم والادب
مصر : ملجأ كل بائس ومقر كل شقي منكود الحظ
تعس الطالع
مصر : تلك الحسناء الفاتنة التي احسنت وفادة كل
قادم اليها من جميع ممالك الغرب
مصر :السعيدة بنيلها

وكثيرا ما سمعت الكروان يغرد والبلبل يغني علي
ضفاف النيل وأى نيل في باريس ؟

ومن أي طريق أجد السلوى هناك ومن من اصدقائى
يخفف عنى نار الوجد التى اذابت احشائى وحطمت فؤادى
ومن يدير شؤون أملاكي وأنا بعيد عن وطنى وقد خلقت
فى هذا العالم وحيدا فريدا

ما أجمل رحلتي الى باريس اذا كنت بصحبه محبوبتى

وما اطيب العيش واجمل الاوقات فيها اذا كنت بجوار حبيبتي

ما اسعدني اذا كنت بالقرب من قلب يعطف على ويدرلا احساس ويكون ذاك القلب قلب حبيبتي فهو وحده الذى يمد بحياة من حياته

لا بد من ان ارحل عن هذه الضاحية

صمم ابراهيم على الرحيل تصميما نهائيا ولكنه فضل أن يقيم داخل القطر وأن لا يبرحه فلربما يساعده الحظ ويحظي برؤية من سلبته عقلة وفتنة جمالها واسرته بمحاسنها وحسنها

اوصي بواب منزله بمراقبته فى غيابه وكتابة اسم كل يأتى لزيارته وانه سيستصحب معه خادمه الخاص حامد الى حلوان لان صحته قد اعتلت ويفضل ان يقضى اياما فى حلوان لسكونها وهدوئها وموقعها الحسن وجودة مناخها وجفاف هوائها وفى حماماتها المعدنية الصحية فعسى أن تعود اليه الصحة بعد أن أضناه السقم

رتب ابراهيم بعض حاجاته الضرورية التي سيحتاج

اليها فى حلوان وافهم البواب بشدة الانتباه واليقظة فى مراقبة المنزل طول مدة غيابه وانه سيترك لديه عنوان المنزل الذى سيقيم به في حلوان وأفهمه بضرورة مراسلته بكل الاخبار أولا باول وأن يكون على اتصال دائم به

سافر ابراهيم برفقة خادمه حامد قاصدا حلوان

تحرك قطار حلوان من محطة باب اللوق وكان الوقت ظهرا بعد وقت قصير كان ابراهيم فى حلوان يبحث عن فندق به وقد وفق الى فندق جميل منسق تنسيقا بديعا وحجز فيه الغرفة البحريه الغربية بعد ان وضع بها ضروريات وتركها علي أن يستنشق النسيم ويمتع نظره بمناظر تلك الضاحية الجميله فلعله يجد بها مايبعد عنه الآ مه ويزيل اسقامه

لم يبتعد ابراهيم عن الفندق بقليل الا وصادف فى طريقه فتاتين احداهما قصيره نحيله الجسم شعرها اصفر ذات حواجب مقرونه وعيون سوداء ووجه قد اكسبته الطبيعه جمالا معتدلا والثانية الفتاة التى جن من أجلها ابراهيم وقد سبق وصفنا محاسنها وجمالها فمهما أجادت القرائح فلن تفيها حقها ويستحيل على أى أنسان مهما أوتى من دقة فى الخيال وبلاغة فى الوصف

وفلسفة فى التعبير أن يقول أكثر من كلمة جميلة ولكن جميله هذا وصف قاصر وتعبير ركيك فى جانب محاسنها الخلابه وكفى أن نظرة منها تركت ذلك الشاب يتقلب على احر من الجمر وحرمته السعاده وسلبته الراحة والهناء وجعلته يفضل الموت على الحياة لانه نظر إلى الحياة نظرة ملؤها اليأس مجردة عن الأمل فكان الموت يحلو له من حين لآخر . وقع نظره عليها فخفق قلبه ولكن لم يكن هذ الخفقان للفتاتين معالأن القلب لايحب غير مرة ولا يعشق غير واحدة كان خفقان قلبه من أجل محبوبته لأن قلبه وحده هو الذى احس بأن هذه هى الفتاه التى تملأ فراغه

وسبت له الشقاء واصل السير فى طريقه العادى وأمامه الفتاتين حتى أصبح لا يفصل الجميع عن بعض سوى مسافة قصيرة جداً وكانو جميعا عند نهاية الشارع الذي يسيرون فيه بعد أن عولوا على العودة ثانيا من حيث أتوا

نظرت الفتاة ذات الشعر الصفر إلى ابراهيم وسألته فى لطف وظرف وأدب

— كم الساعه الآن ياسيدى ؟

وضع ابراهيم يده فى جيبه لأخراج ساعته فاذا بها السابعة مساء . ورفع نظره مخاطبا أياهما الساعة السابعة الآن

— شكرآ لك .

— عفوآ ياسيدتى

لم يتم ابراهيم كلمته حتى رأى أن من برفقة ذات ذات الشعر الأصفر هى حبيبته .

كم كان فرحه وسروره حينما رآها وساعده الحظ برؤيتها وقد خدمته الظروف التى قلما أن تخدم العاشقين

أراد ابراهيم أن يحادثهما ولكن ماذا يتكلم ؟

والى أيهما يوجه حديثه ؟

وهل سيلاقى عطفا أم يعرضان عنه ؟

وان لاقى العطف والوداعة فمن أيهما ؟

هم ابراهيم بالرجوع على أن لا يدع الفرصة تفر من يده كأول مرة فلا بد من معرفته لتلك الفتاه معرفة تمكنه من محادثتها والتقرب منها مهما كلفه ذلك من المشاق .

فى نفس الشارع الذى كانوا يسيرون فيه وبالقرب من منتصفه تقريبا دخل الفتاتان فى منزل مكون من طابقين

يحوطه سور حديقة نسقتها يد فنان ماهر بأمر لزراعة وغرس الازهار ويلوح على ذلك المنزل بمجرد النظر اليه أنه من البيوتات العريقة فى المجد تتمثل فيه الهيبة والوقار

دخلتا واوصدتا الباب خلفهما وابراهيم أمام الباب فرح لان هذه هى الخطوة الاول التي ستخفف عنه ألمه وتزيل عنه اضرارا وهى معرفة المنزل . ينظر ابراهيم الى النوافذ فيجدها مغلقة يدور حول المنزل ويعود ثانيا الى بابه علّه يجد بوابا يستطلع منه بعض ما يهمه الوقوف عليه من الاخبار فلم يجد

وقف هنيهة بالقرب من المنزل ولكنه كان متألما من وقوفه خشية أن يسىء الظن فى وقوفه أحد وأما عن نفسه فهو واقف لا يفارقه الا اذا عاد بفائدة والا فالموت خير له من الحياة خصوصا وأن الفرصة فى يده فان اهملها فلا يستحق عطفا ولا شفقة لانه هو الذى يشقي نفسه بنفسه وهو المستبب فى أيلامها .

كان يسير من أول الشارع الى آخره ونظره فى الذهاب والاياب لا يفارق هذا المنزل فيجده على ما هو عليه بابه موصد ونوافذه مغلقة ولا يسمع منه صوتا سوى صوت الطيور

المغرده فوق أغصان الاشجار فكان كلما مر بالمنزل أوقفه تغريد البلابل ومداعبة باقي الطيور فكان يطرب لسماعها ولم يكن كسابق عهده اذا سمع تغريدها ظنه نغمة رثاء أو أنشودة حزن لان قلبه الحزين كان لايسمع الا ماهو مؤلم للنفس محزن للقلب .

بقي ابراهيم على هذه الحال حتى منتصف الليل ولما شعر بالتعب عاد الى الفندق فلم ينم حتى قرب بزوغ الشمس فأسرع الى بيت محبوبته وكل همه رؤيتها . ولو ساعده الحظ وخرجت منفردة لنال السعادة باكملها واصبح أسعد الناس حظا وأوفرهم نعمة واكثرهم مسرة غردت الطيور مؤذنة بقرب طلوع الشمس وابراهيم يتمشي ذهابا وايابا بالقرب من المنزل فكان يتطلع اليه ويقول :—

قاسيت من أجلك أيتها الحبيبة طول هذه المدة من العذاب ماامضنى وعذبني ولو علمت ذلك لاشفقتي علىّ وأريتيني وجهك من النافذة فاعود ظافرا ببعض ما كنت أرجوه وأتمناه

حبيبتى .

إلا سرك منظر الشروق وخيوط الأشعة الواقعه على رؤوس الجبال الا يسرك هذا المنظر فتطلين لرؤيته

حبيبتى

كل الناس يتمتعون بألذ ساعات النوم ونوافذ منزلك مغلقه وبابه موصد وأنا فى انتظارك أيتها الحبيبه للنهايه

في انتظارك أيتها الحبيبه ! ! !

والطفل نائم فى حضن أمه أو يحلم بألذ الاحلام وأمتع الأمانى

فى انتظارك أيتها الحبيبه ! ! !

والشيخ نائم متلذذ بدفء الفراش ونعومته بينما العامل المسكين يتأهب لمفارقة فراشه للسعى وراء عيشه

فى انتظارك أيتها الحبيبه ! ! !

وقد مر على الشبان الذين قضوا ليلتهم في بؤر الفسق والفجور

فى انتظارك أيتها الحبيبه ! ! !

وأنا بجوار الحرس يراقبون الأمن ويحافظون على المنازل والمتاجر ويحرسون الشوارع

فى انتظارك أيتها الحبيبه ! ! !

وأنت فى فراشك الناعم اللذيذ لاتفكرين في أمري

فى انتظارك أيتها الحبيبه ! ! !

وأنت نائمة كزهرة تداعبها الرياح وتتقبل ابتسامات الطبيعه

في انتظارك أيتها الحبيبه ! ! !

والزوج هانىء بزوجته متمتع بلذة نومه بين فلذات كبده

فى انتظارك أيتها الحبيبه ! ! !

الى ان حانت ساعة الفصل بين الليل والنهار

فى انتظارك أيتها الحبيبه !

الي أن حانت آخر ساعات القمر وحلت أول ساعات الشمس المشرقه

فى انتظارك أيتها الحبيبه . . .

وها أنا قد اصبحت فى يوم جديد تسعد فيه أناس ويشقى آخرون مثلى

وقف ابراهيم وهو يناجي الطبيعة فى ذلك الفضاء الواسع ونظره محدق بنوافذ المنزل كان بوده لو عرف فى أي غرفة هي لاخترق نظره جدارها لتكون نظرته لمن يحب.

وقف صامتا مصغيا إلي تغريد البلابل ولفت نظره واخترق سمعه نغمة شجيه من بين نغمات الطيور فامعن النظر وقرب من حاجز الحديقه وصار يتفرس فى اشكال الطيور ويتعجب من القدرة الالهيه فى اختلاف أشكالها ومميزات اصواتها ولكل طائر اسم خاص

كان الصوت الذي احترق سمعه هو صوت عصفور الكنارى محبوسا في قفص فى أحدى الشرفات وقف ابراهيم معجبا بهذا الطائر الجميل البديع وتمني لو كان يفهم الكلام لرجاه الاعاده وطلب منه المزيد .

كان الطائر ينتفض ليزيل من على ريشه ندى الليل ويستقبل اشعة الشمس المشرقه لتجفف ريشه وتنعشه .

وقف ابراهيم يلاحظه وهو معجب به كل الاعجاب ثم قال . .

أيها العصفور ! !

انظر اليك متواضعا لأني واثق من جدارتك بتوصيل تحيتي واشواقي الى حبيبتي لانك لاتعرف المكر والخداع

أيها العصفور !

هل لك أن توقع نغمة بصوتك الجميل على أوتار قلبي تناجي بها حبيبتي فتخفف ماألم بي من نار العشق والآم الهوى

أيها العصفور ! !

سعادة لك وهناء انك تتمتع بالاقامة في دار فيها سعادتك وشقاقي واذا ساءك سجنك فأنا ابادلك عن طيب خاطر

أيها العصفور !

أني أمعن فيك النظر واتفرس في وجهك واصغي الى تغريدك وكل ذلك لعلي أري وجه من أحب

أيها العصفور !

أنت في سعادة وأي سعادة !

كل يوم تحظي برؤية محبوبتي التي أتمناها من صميم فؤادي ولكن الطبيعة قد حرمتني رؤيتها

أيها العصفور !

ليتك تقبل الضيافة عندي فأعلمك كيف تكون رسول

سلام بيني وبينها

أيها العصفور !

أقسم لك بها وبحبها الذى قطع احشائى ومزق قلبي بأنى اطعمك بيدى كل يوم واسقيك وأبتسم لك وأناغيك فتكون روح حبيبتى وظل معشوقتى

أيها العصفور !

بربك رفقائى وتخلى عن مكانك الهادي وبستانك الجميل لأقيم فيه بدلا منك لحظة افتديها بروحي ومالي

أيها العصفور !

بربك لاتخف عني شيئا هل أنت على الدوام هنا مقيم واذا برحت هذا المكان ففى أى بستان تكون وعلى أى غصن تغرد

أيها العصفور ؟

أودعت عندك قلبي فبالله شفقة عليه ورحمة به

أيها العصفور !

بربك بلغ تحيتى ومحبتى الى محبوبتي وخبرها بأنى اصبحت تعسا تلعب بي الظروف ماشاءت أن تلعب

ايها العصفور !

ختاما وأنا لا اود معك ختاما

ايها العصفور !

وداعا وأنا لا أريد معك وداعا

ايها العصفور !!!

اللي اللقاء ولست ادرى فى أى بقعه من الارض يكون اللقاء.

ايها العصفور !!!

اذ بلغك خبر موتى فلا تحزن ولا تتألم فكم من شاب مثلى مات ضحيه حبه وشهيد غرامه

ايهاالعصفور !!!

سأعود من حيث أتيت افكر فى اسهل طرق الانتحار فهى الراحة الأبديه التى ليست بعدها راحة

ايها العصفور !!!

ليتك تعرف اين قبرى حتى تأتي اليه وتنشد عليه لحن «ضحيه الحب» بنغمك الشجي وصوتك الحنون

ايها العصفور !!!

بربك لا يبخل علي بنغمك المؤثر فوق قبرى ففيه

السلوي وجميل العزاء

أيها العصفور!!!

فى غنائك رحمة لى وفى تغريدك شفقة على

أيها العصفور !

اودعك وداعى الاخير فبربك لاتنسانى وألحق بى فقبرى هناك بجوار مقابر الشهداء فأنى لا أتقبل الرحمه الا من فمك ولا المغفرة الا من قلبك النقى الطاهر

أيها العصفور !

من الآن حق عليك أن لاتنشد نغمة فرح أو لحن سرور فبعد ساعات قلائل أكون في عداد الموتي فلا تأسف ولا تحزن على فاني اسمع صوت اخوانى الشهداء ينادوننى بسرعة اللحاق بهم

فوداعا ووداعا أيها العصفور المحبوب

وعاد برفقة أحزانه وصحبة همومه والامه

الفصل الثالث

محاسن الصدف

عاد ابراهيم بعد أن ناجى الطبيعة والكناريا تاركا قلبه الكليم عند من يهوى مقيم .

عاد ابراهيم الى الفندق فلم يجد خادمه حامد فسأل عنه خدم الفندق فأجابوا بأنهم لم يروه بعد ترك ابراهيم الفندق.

تفقد ابراهيم حافظة أوراقه الخصوصيه فلم يجدها بحث عن بعض اشياء ثمنيه كانت ضمن امتعته فلم يعثر عليها .

ما أحقر طائفة الخدم فأنهم سفله منحطون اذا أحسنت اليهم قابلوا احسانك بالاساءه واذا اسأتهم عاملوك بأحسان وهكذا شأن كل من كانت تربيته وضيعة حقيرة .

اعيد الى ذاكرة تلك أيها القارىء الكريم أن ابراهيم ترك منزله بالزيتون فى حراسة البواب عثمان وأتي الى حلوان مستصحبا خادمه حامد هذا ابن البواب عثمان انتشله ابراهيم من الشوارع والازقة وقتما كان يفترش الارض ويلتحف السماء انتشله من بؤسه بعد ان كان لا يستيقظ الاعلى صوت

الشرطى المزعج

انتشله بعد أن اصبحت له محاضر تشرد عديدة

انتشله بعد أن احرقته شمس الطرقات وبللته السماء بمطرها الغزير

انتشله بعد أن كان لايجد ما يسد به رمقه والحقه بخدمته بعد أن رجاه عثمان البواب رجاء اثر على مكارم اخلاقه فعطف عليه مع علمه بأنه سيء السيرة والسريرة ولكنه كان يعلل نفسه بأن وجوده بخدمته ربما هذب نفسه الخبيثة واصلح ما اعوج من خلقه السيء. ولكن من شب على شيء شاب عليه. ولن يستقيم الظل والعود أعوج ومستحيل أن تتحول التربية الفاسدة الاصليه الى تربية صالحة طيبة مادامت النشأة كانت بين وسط حقير منحط.

لاحظ حامد السافل اشتغال سيده ورب نعمته بحبيبته منذ كان بالزيتون وهذه الملاحظة أيضا لم تكن غائبة عن والده البواب الحقير فانتهز حامد هذه الفرصة فرصة غياب ابراهيم عن الفندق فى مناجاة محبوبته وسرق مالذله وطاب ونال استحسانه. ولكن كان حظه سيئا فأن محفظته التى

ظنها مكدسة بالمال الوفير لا تحوى غير أوراق وان كانت خصوصية الا أنها عديمه القيمة قليلة الفائدة وأن الامتعة التى سرقها وأن كانت ثمينة فى نظر صاحبها ابراهيم الا أنها ستباع بأبخس الاثمان لان سارقها بالطبع يجهل قيمتها .

سرق حامد هذه الاشياء وأوهم صاحب اللوكاندة وخدمها بان سيده افهمه بضرورة توصيل هذه الاشياء اليه حيث يوجد ولما رأوه آتيا بصحبته في أول الامر عرفوا ان هذا خادمه ولم يشكوا فى أمره . أخذ حامد غنيمته وقصد الزيتون فرحا مسرورا لأنه قد خدم سيده خدمة جليلة نظير تربية والاحسان اليه وتلك الخدمة الجليلة هي سرقته وهذا شأن كل لئيم وضيع الاصل حقير النسب والحسب ولا لوم على ابراهيم ولو أنه قد صنع المعروف في غير اهله ولكن الله وحده المكافيء المجازي كل واحد بعمله .

وصل حامد الى الزيتون وقابل والده . بدأ بعد ذلك والده بالحديث ؟

— لم جئت الآن يابني

— جئت ياوالدى هربا من سوء معاملة سيدى لي

فقد تركني أمس وأمس الاول دون طعام أو شراب ولست ادري الى أين ذهب فاردت أن انتقم منه فسرقت بعض امتعته ومحفظة نقودة التي لم افتحها الى الآن وهاهى ملآنة باوراق البنك نوت أما باقي الامتعه فقد بعتها في طريقي لأن مافى المحفظة قد جعلنى في غنى عن حملها والأتيان بها الى هنا

الوالد ـ « بفرح وسرور وابتشام » أين هى ياولدى العزيز دعنى افتحها بيدى وأعد النقود التى بها خوفا من ان تعدها أنت فتخطىء فى عدها .

تناول الوالد المحفظة وفتحها والسرور يطفح على وجهه والفرح ملء قلبه فاذا بها اوراق لاقيمة لها وتستحق ان يلقى بها فى سلة المهملات .

بهت الرجل امام تلك الحادثة وهى وأن كانت مؤلمه الا انها في نظرة بسيطة فان ابنه قد اخطأ المرمى فى هذه المره وانشاء الله فى المستقبل عندما يلحقه بخدمة سيد آخر فسيزوده بوصايا الحرص والانتباه فى أن يتفقد الشيء قبل سرقته ولا يسرق الاماخف حمله وغلا ثمنه .

واخيرا صمم الوالد علي ترك خدمة سيده ابراهيم ولم يخطر بباله أن يسرق شيئا من غرفته الخاصة فكأن الطبيعة قد ارادت أن لا يلحق الاذى والضرر بأبراهيم من كل ناحية فكفاه حزنه وألمه على معشوقته وكفاه ندما علي من أحسن اليه فقابل احسانه بالاساءه .

ومما أحسن به على حامد الخائن أنه كلف خدم الفندق وقت مجيئه بأن يعطوه كل ما تشتهيه نفسه من طعام أو شراب ولم يتركه جائعا كما أخبر والده ولكنها وسيلة خدع بها نفسه لكي يبرر بها السرقه ويستحل بها الخيانة .

أخذ الوالد ولده وتوجها لحال سبيلهما وخوفا من مجيء سيدهما ابراهيم على أثر غياب حامد فيفتضح أمرهما وينالا جزاءهما ولما كان لايهمك أيها القارىء من امرهما شيء بعد ذلك فسنتركهما دون أن نعود الى ذكراهما المؤلمة موكلين أمرهما الى المنتقم الجبار .

لم يهتم ابراهيم بهذه المسأله ولم يعرها أي أهتمام الا أنه فضل سرعة العودة الى الزيتون . خوفا من أن يكون الولد سبقه الى هناك وتآمر هو ووالده على خيانته وسرقة منزله هناك

أعد عدته للعوده بعد أن حاسب صاحب الفندق وبعد قليل كان قطار حلوان يتحرك به فى طريقه الي محطة باب اللوق وهو بين نارين . نار الخوف على منزله . ونار البعد عن دار حبيبته

جلس ابراهيم بقرب نافذة القطار ولكنه كان حزينا لا يفكر الا فى أمر محبوبته وطريقة اللقاء بها ومحادثتها وبينما هو فى تأملاته وتخيلاته اذ سمع صوت مجادله و مشاجره تخللها اصوات فتيات فقام من فوره وقصد العربة المجاوره لعربته فأبصر بائع الجرائد يخاطب فتاة بألفاظ خشنة خاليه من الذوق واللياقه وبيده فضية من ذات العشره قروش وهو يقول لها

ـ ان هذه القطعة رنتها خرساء وهى مزيفة ولا يمكنى أن اقبلها فأعطنى قرشا ثمن المجلة والا ذهبت معك بها الى دار الشرطة

وهى تقول له

ـ لا أبدلها لك ولن أعطيك غيرها مادامت ليست مزيفة .

وقف ابراهيم فى طريقة العربة وعلى مقربة منها ولكنه

لم يجسر على القرب منها فنادى بائع الجرائد وقال له :-

أرني هذه القطعه التى تدعى أنها مزيفة !!

فناوله أياها . فتناولها ابراهيم وأمعن فيها النظر فوجدها من الفضه غير المزيفه فناوله ثمن المجله فانصرف الولد من أمامه مناديا على جرائده فى القطار .

تقدم ابراهيم إلى الفتاة فى خجل واحترام وبمجرد أن وقع نظره عليها وجدها معشوقته فسقط على الكرسى المجاور لها فى عيبوبة تامة إلا أنه سرعان ما أفاق من غشيته وتقدم اليها خوفا من انتقاد ناقد وقال لها ويده ترتجف ولسانه متلعثم من شدة الفرح وكثرة السرور — تفضلى ياسيدتى قطعتك فأن الولد غبى جاهل وربما كان حديث العهد ببيع الصحف عديم الخبرة بمعرفة النقود الصحيحه من المزيفه فأن هذه القطعة لاغبار عليها فهي من الفضه وليست مزيفه

— شكرا لك ياسيدى واكون ممتنه لو تفضلت بأخذ ادفعته اليه واعطيتنى الباقي .

جلس ابراهيم فى المقعد المقابل لها واضعا يده فى جيبه لكي يعطيها باقى القطعة ذات العشرة قروش وبعد قليل

أخرج أبراهيم الباقي وناوله لها شاكرا .

فنظرت اليه الفتاة وقالت : ـ

من منا يقدم الشكر للاخر : شكرا لك ياسيدى

ـ لا شكر على واجب ياسيدتى

هنا تبودلت النظرات والعواطف واراد ابراهيم أن يقص عليها ما حدث له من اجلها والظروف المؤلمة التى تحملها ابراهيم من أجلها

امعنت الفتاة النظر فى وجه ابراهيم ووقفت وتفرست فى وجهه وسرعان ما عادت الى ذاكرتها ليلة مقابلتها لهذا الشاب فى قطار المرج وبعد أن ترددت قليلا وتروت فى الامر قالت له : ـ

ـ اتذكر ياسيدى أنى كنت معك فى عربة واحدة من عربات قطار المرج ليلة أن كنت مشغولة بالمطالعة وكنت أود النزول بمحطة الزيتون ولم أنبته الا والقطار واقف فى المرج وقد لاقيت من حضرتك ظرفا خفف ما ألم بى من الاضطراب .

فقال « والسرور يطفح من وجهه ويكاد يطير فرحا »

— نعم هو انا ياسيدتى والله أنها لصدفة عجيبة كيف نتقابل دفعتين فى قطارين . . . ورب صدفة خير من ميعاد

— عفوا ياسيدى أنا لم أكن على موعد حتى تفضل صدفة مقابلتى لك عن ميعاد

— لم يكن هذا قصدي ولا ما أعنيه وغاية مافي الامر وكل ما أقصده هو انه ربما كنت على موعد مع صديق لى فانتظره قبل الموعد لأكون محتفظا بالوقت ويطول انتظارى ولم يحضر وألاقيه فى وقت آخر ملاقاة الصدفه على غير مرعد واكون فى احتياج لمقابلته

حقيقة ما تقول

ـ هل تتفضل سيدتى باجابتى على سؤال بسيط أعده خارجا ولكن طمعا فى مكارم اخلاقك

تتفضلين بالأجابه عنه

ـ تفضل !

ـ الى أى جهة تقصدين بمشيئة الله ؟

ـ الى الزيتون ياسيدى ! !

ـ ومن اين آتيه ؟ ؟

ـ بالطبع من حلوان . . .

ـ ارجو أن لا اكون كدرتك بهذين السؤالين لأنى غاية سأقصها عليك وسبباً سأتلوه على مسامعك . .

ـ تفضل . . .

هنا وقف القطار بمحطة باب اللوق لأن المسافة كما لايخفى عليك أيها القارىء لاتزيد عن نصف ساعه

وقف القطار قبل أن يبدأ ابراهيم فى حديثه وقد أوجد شوقا لدى محبوبتـه فى سماع حديثه خصوصا وقوفها على الأسباب التي دعته لسؤالها السؤالين السابقين إلا أنه أشار عليها بكل خشوع واحترام أن ترافقه الى جهة خلويه يقع عليها اختيارها ليقص عليها شيئا من أمره. فلم تروجها للرفض ولا سببا لعدم القبول فاطاعت لستطلع الأمر وفوضت اليه الأمر في اختيار الجهة الخلويه البعيدة عن اعين الرقباء . . .

ففضل ابراهيم أن يركبا سيارة تقيهما سهام اللوم والانتقاد وأن يكون طريق السياره من محطة باب اللوق الى مصر الجديدة حيث يوجد قصر البارون البلجيكي بالقرب من

قصر المغفور له السلطان حسين كامل وفى الطريق الموصل الى جهة الماظه قصر عمال شركة ترام الهليو بوليس .

سارت بهما السيارة فى طريقها المألوف فابتدأ ابراهيم حديثه قائلا : —

عزيزتى

نحن الآن في اتجاهنا الى مصر الجديدة القريبه من مسكننا الزيتون وسنكون بجوار قصر البارون وأظنك تعرفين هذا القصر الفخم بجمال بنائه العظيم بتحفه وآثاره .

هناك حيث السكون والهدوء تكون بعيدين عن الاعين نائين عن العزال والحساد . هناك اقص عليك ماتتشوقين لسماعه وربما تألمت كثيراً من بعض ظروف سيئه وحوادث مؤثره مرت بى من اجلك .

وهنا تشوقت الفتاة إلى معرفة هـذه الظروف وتلك الحوادث وبعد قليل كانا بجوار قصر البارون . فسار الهوينا مترجلين الى أن جلسا بجوار القصر على حافته الغربيـة

ولما استقر بهما المقام قال لها ابراهيم : ـ

أنا ياعزيزتى الذى كنت معك فى قطار المرج ومن

هذه اللحظة التي رأيتك فيها وقعت اسير غرامك وقتيل حبك ولكن حيائى كان يمنعنى من انبس ببنت شفة . ففتحت قلبى لحبك احتملت الامه ومقامة شيعتك بنظرة محطه الزيتون تلك النظرة التى خلفت لعينى البكاء ولكبدى التفتت ولا حشائى التقطع.

واختصر لك الحديث

توجهت لمنزلى الذي اعيش فيه منفردا اتطلب الراحه فلم اجدها وانشد السعاده والهناء فلم اجد اليها طريقا

يئست ففضلت ترك الزيتون والتوجه الى حلوان لعلى اجد فيها السلوى والنسيان وتخفيف الألمي واحزانى بعد أن تركت المنزل في حراسة البواب واستصحبت معى خادمى حامد

نزلت في احد الفنادق وتركته فى الحال بعد أن وضعت به بعض امتعتي في حراسة خادمي الخائن حامد وسرت اتجول في شوارعها الى أن صادفنى فى طريقى فتاتان احداهما قصيره شعرها ذهبي والثانيه هى «انت» ويثبت لك صحة قولى سؤال صديقتك لى عن الساعة واتبعت اثركما الى أن دخلتما

المنزل الكائن فى منتصف الشارع وهناك دخلتما بعد أن أوصدتما الباب خلفكما فوقفت اراقب المنزل ويخترق نظرى نوافذه لعلى اخطر برؤيتك فلم اوفق الى شيء من امنيتى فوقفت طويلا وتجولت كثيرا ذهابا وأيابا فلم ارك واخيرا ناجيت الطبيعة بائسا وأوصيت عصفورك الكناري بابلاغ تحيتى واشواقى اليك . وعدت تاركا قلبي لديك

عدت الى الفندق فوجدت خادمي الخائن حامد قد سرق بعض امتعتى واوراقى الخاصة وفر هاربا وكل هذا قليل فى حبك فأني قد وقفت حياتى فداء لك ومالى تحت قدميك وان كان حبى أثمن من كل شيء لأنه حب شريف لايزيد وينقص عطفك علىّ اذا لاقيت ذلك العطف . واخيرا عولت على العودة الى الزيتون لكي الحق بهذا الخادم الحقير لأنه أبن بواب منزلى خوفا من تآمر الاثنين على سرقة منزلى في الزيتون

وبينما أنا فى القطار افكر فيك وقلبي يخفق بحبك ومخيلتى لاترى الى شخصك وذاكراتي لاتحوي غير اسمك واذ بى اسمع صوت بائع الجرائد الذي كان يتشاحن معك

من أجل القطعة ذات العشرة قروش التى كان يظنها مزيفة وشاءت القدرة الآلهية أن اجتمع بك مرة ثانية فى القطار ولما كانت قطارات السكه الحديديه هي السبب فى تلاقينا فقد اصبحت مغرما بها أبتهج لرؤيتها وأطرب لصفيرها ودخانها المتطاير حتى انه يخيل الى انها لم تكن آلة بخارية بل هى آله موسيقية بواسطها تعارفنا وفيها التقينا ؟

فابتسمت الفتاة ابتسامة طويلة علامه السرور والفرح وقالت له بصوت متهدج يتخلله التأثر .

ـ تحملت كل هذا من اجلى . .

ـ نعم ياسيدتي ومستعد أن اتحمل اكثر من ذلك فأن كنت قد أشفقت على فقد زال ألمى وأصبحت أسعد الناس حظا وأوفرهم نعمة واكثرهم لذة

فقالت له الفتاة : ـ

ـ اشكرك على احساساتك الرقيقة وعواطفك السامية ثم نظرت فى ساعة يدها الذهبية واذا الساعة الثانية بعد الظهر فأرادت الانصراف لأنها أخرت عن موعد وصولها لمنزل واشارت عليه بأنها ستسبقه فى العودة لمنزلها منفردة لأنها قريبة منه فودعته

بعد أن الهمتها العنايه الالهيه بأن تعطيه عنوانها واوصته بأن يتوجه على عجل إلى منزله ليعلم ماحدث به فلربماخانه البواب أيضا وأن يفيدها بخطاب لتطمئن عليه وانصرفت من أمامه وفي قلبه من الحب لها اكثر مما كان وشعر بألم فراقها اكثر من ألمه الذى عاناه فى سبيل التعرف عليها .

تصفح العنوان فاذا به يقرأ اسم محبوبته « سعاد »

الفصل الرابع

الرسائل

عادت سعاد بعد استئذان ابراهيم ووداعه وتركته وقد عادت اليه نظرة الشباب سرورا وفرحا بلقائها بعد ان كان يجتاز طريق الشيخوخة الما وحزنا لفراقها

أن الظروف السعيدة قد أتاحت له الفرص الحسنة تلك الظروف التى قلما عطفت أو أشفقت على ولهان الا بعد ان تحرقه بنارها وتؤلمه بآلامها

حقيقة فقد اصبح ابراهيم فى سعادة وهناء يحسد عليهما حظي بلقاء محبوبته وعند الفراق كان لديه عنوانها لمراسلتها بعد أن ناولها بطاقه باسمه

رجع ابراهيم الى منزله فوصله بعد قليل فلم يجد بوابه عثمان وسأل عنه جيرانه فعلم منهم انه ترك المنزل مع ولده حامد

اسرع ابراهيم بأن صعد الى منزله وتفقد امتعته واوراقه فوجدها كما هى عليه لم تعبث بها يد عابث ولم تصل اليها يد طارق

شكر الله وحمده على انه قد اصبح سعيدا فى كل شىء

ومغتبطا بكل شيء وأن ما أخذه خادمه حامد لا يعد شيئا مذكورا لانها امتعة قليلة وبعض اوراق ليست لها قيمة . وتمنى لو رأى حامد فيكافئه على هذه الخيانه الجميلة التي كانت سببا فى لقاء سعاد فى القطار . وهذه تضحية رخيصة مقابل تمتعه بلحظة اللقاء فهنالك يا ابراهيم لقد قضيت بقرب محبوبتك ساعات لا لحظة ولا لحظات

اعيد على ذاكرة حضرات القراء أن ابراهيم يقطن في منزله منفردا وحيدا ولم يكن معه أحد سوى بوابه وخادمه فضلا عن ذلك فأنه قد شيد منزله هذا لنفسه خاصة وبناه على أحدث طرز وأجمل شكل واحسن نمط ورتبه ترتيبا جميلا ونسقه تنسيقا حسنا وفرشه بأحسن الرياش الفاخره واوجد به تحفا عديمة النظير لن تجد ما يماثلها حتي ولا فى بيوت العظماء لأن تعليمه الراقي وتربيته الحسنة قد اكسبته رقة الذوق وحسن الانتقاد .

فتح ابراهيم غرفة مكتبه ورتب بعض اوراقه بعد أن استدعى خادما بالأجره وقام بتنظيف المنزل جميعه والغرف وكلف بعض المخدمين بأن يأتيه بخادمة صغيرة لا يتجاوز

سنها العاشرة على أن يحسن تربيتها ان وجد منها اخلاصا واستقامة وصمم على أن لا يلحق بخدمته غيرها لانه لم يسبق له أن الحق بخدمته سوي هذا الصنف الحقير من الرجال الذين خانوا عهده وقابلوا احسانه بالاساءه فربما وفقت هذه الفتاة فى خدمته .

جلس ابراهيم على مكتبه وسطر اسعاد الخطاب الآتي :-

حبيبتى سعاد

أهديك سلاما عاطرا وتحية ملؤها المحبة وشوقا لا يعلمه الا الله .

وصلت منزلى عقب وداعك لى فوجدت والحمد لله أمتعتى كما هي لم تمس بسوء وعلمت من بعض الجيران أن بوابى عثمان قد ترك خدمتى في غيابي عقب قدوم ولده حامد بما سرقه . وبالطبع هذا شأن مثل هذه الطبقة المنحطة وظنك قد تلقيت منهم دروسا قاسية وحكايات مؤلمه فقلما يفلت من اساءة هذا النوع أحد الا القليل .

واظنك ستندهشين لو علمت بأن هذا الرجل مكث فى خدمتى عشر سنوات قد تمتع فى خلالها بكل لذة ونعيم لأنه

لا يوجد بمنزلى مايسمونه خدمته ولا يوجد عندي من يقوم بخدمته فأنا أقيم وحدى منذ تركني والدى بنيما بعد أن حصلت على اكبر الشهادات المصرية والاوروبية فى حياتهما وخلفالى سروه جعلتنى ادعو لهما بالمغفرة وأتطلب لهما الرحمة كلماطلعت الشمس وفضلاعن ذلك فقدالحقت ولده بخدمتى بعد أن رجانى فقبلته بلا تردد وحدث منهما بعد ذلك ماحدث .

ولما كنت غير مهتم بأمرهما وبما فعلاه فلاداعى لترديد ذكراهما بعد الآن . خصوصا وقد عولت علي أن لا الحق بخدمتي أحد من ذلك النوع « الحيوانات الآدميه » بل سأختار لخدمتى فتاة صغيرة .

بودى أن أشرح لك اللحظه التى قضيتهابقربك فأجد نفسى عاجزاً عن الوصف

أنى اشعر بأنى اصبحت اسعد الناس ولم اكن واهما فى ظنى فأن شعورى هذا حقيقة واقعة فبعد أن كنت أتعذب فى بعادك وأتألم فى فراقك وكنت أرى أن كل من بجوارى وحولى حزين مبتئس وأن العالم كله قد اصبح فى حزن وكنت لااعرف إلى الراحة سبيلا اصبحت الآن حامداً لنعمة

الله شاكراً لفضله علي تلك اللحظة التى قضيتها معك بجوار قصر البارون .

نعم هي فى نظرى لحظة وان كانت نظر العالم عاملا كاملا.

حقيقة ماأقصر ساعات الهناء واطول ساعات الشقاء.

أود أن اكون بالقرب منك على الدوام . وكنت اتمني أن تقف ساعات الدنيا فى اللحظة التى نظرت فيها الي ساعتك وقلت استأذنك فى الانصراف فأن موعد ذهابي لمنزلى قد حان وأخشى التأخير حتي كان يتسني لى أن كانت الساعه الثانيه بعد الظهر مثلا أقول لك أننا بعد شروق الشمس بقليل والساعة لاتتجاوز السابعة حتى امتع نفسي بفرق الساعتين .

أظن نفسى متطفلا واعتبرنى قد اسأتك أن سألتك اللقاء مرة ثانية .

في انتظار الرد منك وآمل أن يكون قريبا وافضل أن يكون اللقاء فى المكان المعروف لدينا ان كان قد نال منك استحسانا وقد تركت لك تحديد الوقت ليكون كما تشائين وتفضلى بقبول تحياتى

المخلص لك على الدوام ابراهيم . . .

أتم ابراهيم كتابة الخطاب وكتب على طرفه عنوان حبيبته وقام بنفسه ليلقيه فى صندوق البريد .

التقى ابراهيم الخطاب بعد أن زوده بالقبلات الحاره . وقريبا سيخطر بالرد لان المسافة بين بيتى الحبيبين لا تتجاوز العشر دقائق سيرا على الاقدام فمنزل ابراهيم فى الجهة البحريه من الزيتون ومنزل سعاد فى منتصف الشارع الموصل من الزيتون لمصر الجديده.

والان فأبراهيم فى انتظار الرد من محبوبته وقد اصبح فى نظره اكبر الناس احتراما واعظمهم وقارا واكثرهم محبة اليه هو ساعى البريد فمن حين لاخر ينتظر قدومه من نافذة حجرة مكتبه وكان اذا رأى شخصا مارا بالطريق عن بعد يرتدي ما يماثل لباس ساعى البريد قام من فوره ووقف منتظرا قدومه وهو على باب منزله فيخطئ نظره واذ به شخص غيره .

فيعود ثانيا وهكذا استمرت به الحالة يومين من تاريخ وصول خطابه وفى اليوم الثالث اتاه الساعي الحقيقى الرسمى فى الساعه التاسعه من صباح ذلك اليوم وكان ابراهيم فى انتظاره

من الساعة الخامسه صباحا كأن هذا الخطاب سيأتيه فى الحلم لا فى اليقظة .

طرق ساعى البريد الباب وكان ابراهيم مشغولا بالمطالعة فى غرفة المكتبة فاسرع الى نافذة الغرفة المطله على واجهة المنزل ليرى القادم فوجده الساعي فكان بوده أن يكافئه بأعز شيء لديه لانه أتاه بخطاب الحبيبة .

تناول منه الخطاب وفتحه قبل ان يصعد الى غرفته لانه ظن أن فى صعوده وقت طويل سيحول بينه وبين سرعة قراءته الخطاب .

فض الخطاب والسرور يطفح على وجهه والفرح ملء قلبه وقرأ فيه

عزيزى ابراهيم

تحيه . وبعد

وصلنى خطابك . وارجو ان لا ترمينى بالتقصير أو الاهمال فى سرعة الرد عليك ـ ولو علمت السبب الذي من اجله تأخرت لعزرت وصفحت . عمتى مريضه وهى سيده حسنه فى الحلقة السابعة من عمرها تحبنى حبا فوق العادة

حتى أنى دائما بالقرب منها لا افارقها الا نادرا جدا.

عمتى هذه غنية غني مفرط وكنت لى كل ما تمتلك فى حياتها لانها تعزني كثيرا . وقد ذرفت الدمع السخين وبكيت بكاء مرا حينما علمت من خطاب انك يتيم الوالدين مثلى

كان بودى أن اراك قريبا ولكن مرض عمتى العزيزة يمنعني من ذلك . أظنك ستتألم لانك ربما تظن انى اقصد عدم مقابلتك ولكن كن واثقا بأن قريبا جدا سأحدد لك مكان وساعة اللقاء فكن مسرورا ياعزيزي . وتقبل منى عظيم التحية ووافر الاحترام ؟ سعاد

لاشك فى أن ابراهيم قد غضب وفرح فى آن واحد غضب لأنه كان يتمنى أن يكون موعد اللقاء فى هذا الخطاب .

وفرح لأنه لم يفقد الأمل في لقاء حبيبة وقريبا سيحظى بلقائها ولكن كان فرحه يغلب على غضبه وعلل النفس بالانتظار .

انتظر ومرت أيام الاسبوع كلها ولم يأتيه الخطاب الذى وعدت بارساله سعاد . لم يطق ابراهيم الصبر ومل طول

الانتظار وعاودته الذكريات المؤلمة والخيالات المحزنة فعول على أن يكتب اليها خطابا ثابتا لأنه وان كان العاشق لا يجد أمامه عدة يتحمل بها ألم الفراق سوى الصبر الا أنه فى بعض الأحيان يخونه الصبر ويفارقه الأمل .

سطر ابراهيم لها هذا الخطاب : —

عزيزتى سعاد

سلامى اليك واحترامى لك قبل كل شىء وبعد أخبرك بوصول خطابك الذى كان له اجمل وقع فى نفسى وقد نال منى اعجاباو اصبحت به سعيداً فشكراً لك على رقة شعورك وجميل احساسك .

انتظرت ياعزيزتى ساعة اللقاء تلك الساعه التى تقعد القلوب كل حس الا شعور الحب وتنسيها كل ذكرى إلا ذكري الغرام .

متي احظى بتلك البرهة التى سأقضيها بجوارك ياحبيبتى بعيداً عن أعين الرقباء انى أخال تلك البرهة على قصرها ستكون فرحة بوآمنا مغتبطة بلقائنا .

قريبا سألتقي بك فى مكان يكتم مايراه من أمرنا مادام حبنا طاهرا شريفا

حبيبتى .

سألتقي بك فى ذلك المكان والبدر مطل فرحامسرورا لما نحن فيه فسكوته وهدوئه دليلان على رضاه عن مناجاتنا وبثنا لواعج الغرام مادام يرى الثغور المبتسمة والقلوب الراقصه تيها ودلالا بساعة اللقاء .

أن اجمل ساعه يراها البدر هى ساعه يري فيها الحبيبين يلتقيان فلوعة الهوى تقيمهما وتقعدهما . كل ويشفق لحالهما ويرق لعواطفهما فلن تتهذب النفوس بغير الحب

حبيبتى :

لم ار بدا من اعادة مراسلتك وهاأنا قد طال انتظارى فهل لك ياعزيزتي أن تسعدى ذلك المتيم للقاء كماوعدت . كان بودى أن انتظر ورود خطابك ولا أتسرع فى مراسلتك ثانيا ولكن ألا تعلمين ان أيام الاسبوع التى مرت على لم تكن كما تزعمين أيام اسبوع ولكنها أعوام دهر ولذلك راسلتك تارة الثانيه

رجائي أن لا يغضبك ما فعلت وها أنا ارجوك العفو ان كنت قد آلمتك والتمس الصفح أن كنت قد عكرت صفوك . وهذا شأن المحبين

ابراهيم

ارسل هذا الخطاب الى سعاد فبعد أن قرأته عزمت على مقابلته خصوصا بعد أن كانت تفكر في الخروج وذلك لان الطبيب قد كتب لعمتها علي دواء فارسلت سعاد في طلبه بواسطة الخادمة ولما تعاطته المريضة شعرت بتقدم محسوس في صحتها فارادت ان تذهب بنفسها وتشتريه مرة ثانية. وكان بيت عمها فى حلوان يسأل باستمرار مستفسرا عن صحة عمتها بواسطة التليفون وتصادف ساعة قراءتها الخطاب ابراهيم أن دق جرس التليفون فقامت سعاد وتلقت الحديث الآتى

— آلو . . . مين ؟ حضرتك

— حضرتك سعاد؟

— نعم سعاد ! !

— أنا صباح كيف حال عمتك الان ؟

— تحسنت عن ذي قبل ! !

— سأحضر بعد ظهر غد لزيارتها فرجائى أن تقابلينى علي محطة الزيتون . . .

— على الرحب والسعة يا ابنة العم !

— أورفوار سعاد ! — أورفوار صباح !

تركت سعاد التليفون فرحة مسرورة لانها قد وجدت الفرص التي ستمتعها بلقاء ابراهيم .

عادت سعاد فاخبرت عمتها بأن ابنة عمها ستحضر بعد ظهر غد لزيارتها وتطلب منها مقابلتها بمحطة الزيتون فسرت العمه لذلك كثيرا . هذه فرصة أولى. والفرصة الثانيه هى أن الوقت يسمح لها بمراسلة حبيبها لكى تقابله ولو فترة قصيرة قبل حضور ابنة عمها . فسطرت لابراهيم هذا الخطاب ! .

عزيزى ابراهيم

آلمنى ألمك كثيرا واحزننى حزنك على عدم لقائك بى وعدم مساعدة الظروف لى بأن أبر بوعدى فاقابلك

ولكن هاهي الظروف قد عادت فسمحت لنا باللقاء.

سيصلك خطابي هذا صباح غد وبعد غد سأكون ظهرا بجوار قصر البارون المعروف لدينا .

فوداعا ياعزيزى والى اللقاء القريب ودمت

للمخلصه — سعاد

وصل هذا القطار لابراهيم فطار فرحا وصار يعد الثواني والدقائق والساعات والايام حتى حانت ساعة اللقاء فقام متوجها الى قصر البارون وهناك سيلتقي بسالبة لبه وعقله الجالسة على عرش فؤاده المسيطرة على جميع حواسه بجمالها الفتان وملاحها الجذابه

سعاد ففي اسمها السعادة والهناء وفي مجالستها الأنس والصفاء

الفصل الخامس

بجوار قصر البارون

حان موعد اللقاء وساعة التلاقى فقصد ابراهيم قصر البارون قبل الموعد الذي حددته سعاد والحكمة في ذهابه قبل الموعد هى أنه محب ولا يحترم الوعد يحافظ عليه ولا يهتم بتنفيذه كالمحب خصوصا واذا كان هذا الوعد بينه وبين محبوبته.

انتظر ابراهيم وكان يجول ببصره لكي يرى محبوبته آتيه فكنت تراه واقفا وقلبه ليس معه خصوصا وأن الشوارع المؤدية الى قصر البارون كثيره ولا يدرى من أيها ستقبل عليه سعاد ببهائها وحسنها الفتان

ارتبك في أمره وخشى عدم مجيئها ومما زاده ارتباكا قولها:

سيصلك خطابي هذا صباح غد وسأكون عندك بعد غد ظهرا بجوار قصر البارون المعروف لنا

وأخذ يحدث نفسه قائلا :-

ها هو قصر البارون ! ربما يوجد قصر آخر غير هذا يسمي قصر البارون . أظن انه لايوجد . فقد نشأت وتربيت فى هذه الجهة ولم اسمع بوجود قصر بارون هنا سوى هذا القصر

ربما يكون الموعد فى جهة اخرى وقد أخطأت فجاءت كلمة قصر البارون خطأ منها أو ربما يكون فى خطابها مكان غير هذا

هاهو الخطاب معى محفوظ بين عقلى وفؤادى وسمعى ورشادى

قرأ ابراهيم الخطاب مئنى وثلاث ورباع حتى اصبحت صورته مطبوعة في مخيلته فلم يفهم منه اكثر من أن الموعد فى هذا المكان

عجبا والله ها انذا فى انتظارك ياحبيبتى فى المكان الذي وقع عليه اختيارك فلم هذا الغياب الطويل انى اشعر بأنه قدمر على فى انتظارك عاما كاملا .سأرى الوقت فلر بما انى مخطىء فى ظنى هذا !

هاهى ساعتي الآن الثانية عشرة الا ثلث وقد أوشك

الوقت أن يكون ظهرا . هل هناك ظهر أن ؟هذا مالا أظنه ! متى يبتدىء وقت الظهر ومتى ينتهى بالضبط ؟

هذا مالا اعرفه حتى الان !

القى نظره مرة أخرى على ساعته فاذا هى الساعة الثانية عشرة الا تسعة عشر دقيقة . فقال ألم يحن وقت الظهر بعد ؟ وهكذا كان ابراهيم يرى ساعته كل دقيقة حتي أتت الساعة الثانية عشرة تماما واذ بحبيبته اتية في موعدها بالضبط فرآها على بعد فكان بوده أن يطير اليها ليختطفها من مكانها ولكنه تروى في الامر قليلا وانتظر حتى قربت وهى تمد له يدها مشيرة الى ساعتها قائلا : ـ

ـ جئت ياعزيزى فى موعدنا بالضبط ! !

ـ شكرا لك يافؤادى على كل حال . ولكن هل تسمحين بالجلوس هنا أم نذهب الى مكان آخر يكون اوفق للجلوس اكثر من ذلك ؟

ـ لا بأس من جلوسنا هنا ! ! !

فأنى أفضل هذا المكان عن أى مكان آخر لسكونه وهدوئه وبعده عن الرقباء وما أكثر عيون الرقباء ياعزيزى ! !

— لك ماتشائين ياسعاد

جلس الحبيبان واستأنفا حديثهما بعد قليل فقال ابراهيم

— ما الذي حملك ياعزيزتى على اختيار موعد الظهر فى هذه الشمس المحرقة . أنا لاتهمنى الشمس ولكني اخشى عليك من أن تجلب لك الضجر ! !

— أظنك قد انتظرتني كثيرا حتى أن الشمس قد آلمتك

— لا والله فالشمس لاتؤلمنى حتى ولو كانت نارا موقدة فهى جنة النعيم مادمت فى انتظارك ! !

— شكرا . . . انى فضلت هذا الوقت لسببين : — السبب الاول هو أن نكون بعيدين عن الانتقادات حيث أنه يندر أن يأتى أحد هنا بقصد التريض او النزهة كما لو كان الوقت مبكرا أو ساعة غروب الشمس . .

والسبب الثاني هو انه أول أمس خاطبتنى ابنة عمي صباح بالتليفون وهي التى رأيتها معى بحلوان

— هذه ابنة عمك ؟ ؟

— نعم ! !

— اخبرتني فى التليفون بانها ستأتي بعد ظهر اليوم

لزيارة عمتى المريضة فوجدتها أحسن فرصة لمقابلتك وفعلا كانت النتيجة أنا هنا الآن ! !

— شكرا لله ياسيدتى . وكان بودى أن أبقي معك وقتا طويلا دون أن نكون مقيدين بميعاد ولكن هكذا شاء القدر ! !

— وكيف حال عمتك الان ؟

— الحمد لله قد تحسنت كثيرا عن ذي قبل !

— لى عندك سؤال بسيط ارجو أن لا يكدر صفوك . .

— تفضل ! ! !

— أتحزنين لموت عمتك هذه أم تفرحين ؟

— كيف أفرح ياعزيزى وهي التى تخفف عني حزنى وألمى على فراق والدى أني احبها اكثر من حبى لعمى لانها تعطف على كثيرا وتدرك احساسى بالرغم من كبر سنها والدليل على محبتى ومحبتها لي أنها قد كتبت باسمى كل ماتمتلك وقد مات ابواى ولم أرث عنهما سوي أنهما ربياني احسن تربية وعلماني تعليما راقيا فبعد أن تخرجت من المدرسة واتممت علومها ونلت شهادتها أردت أن أطلب المزيد من

العلم وأن أنال منه قسطاً وفر فدرست فى منزلى اللغة الانجليزية والفرنسية وتعلمت التوقيع علي البيانو حتى اصبحت أجيد هذه العلوم كلها بفضل والدى رحمة الله عليه فانه ماتأخر لحظة فى تعليمى وتهذيبي حتى فرق بيني وبينه الدهر الخؤون وقد حزنت لموته حزنا شديدا ومما زاد فى حزني وألمى وفاة والدتى عقب موته بزمن قصير

— وعلام تعولين بعد ذلك أيتها الحبيبة ؟

— أعول على أن أبقى بجوار عمتى ! !

— والى متى ؟

— « بابتسام » الى أن يشاء الله !

— لاشك فى انك تفكرين فى أمر مستقبلك !

— أما أمر مستقبلى ففى يد عمي وهو يتردد كثيرا !

— ماقولك اذا تقابلت مع عمك وخطبتك منه ؟

— أنه لايتأخر من اجابة طلبك !

— أواثقة أنت من ذلك ؟

— نعم

— وأين ومتى اقابله ؟

— أتعرف القصر الذى ناجيت فيه الطبيعة واوصيت الكناري بأن يوصل لى تحيتك ؟

— « بابتسام » كيف لا اعرفه وقد وقفت أمامه ليلة كاملة الا قليلا !

— عمى صاحب هذا القصر وقد كان من كبار موظفى الحكومة وهو فى المعاش الآن وعلى الدوام وجود بالمنزل ويمكنك أن تقابله فى أى وقت تشاء واسمه احمد بك مختار فلو كان الامر بيدى لنفذت لك رغباتك لانك قد تألمت من أجلى وضحيت كل نفيس وغالى فداء لحبى وها أنا الآن افديك بالروح مادمت لا تنقص العهد وقصدك شريف !!

— سأقابله فى أول فرصة تسمح باللقاء !

— هذا كل ماأتمناه ! ألم تجعل فى خدمتك أحدا بعد البواب وابنه ؟

ـ قد اوصيت على خادمه !

ـ عندنا ثلاثة خدامات اكبرهن سنا هى التي تشاركنى في خدمة عمتي التى لا تستغنى عنها وسأرسل لك أحدي الاثنين !!

ـ لك الشكر ياعزيزتى على كل حال!!

ـ والآن قد حان موعد قدوم إبنتة عمى فارجو أن تسمح لى بمقابلتها خوفا من أن تأتى ولاتجدنى فى انتظارها!!

ـ لك ماتشائين ومتى تسمح الظروف بأن اقضي بقربك وقتاطويلا.

قريباستحظى بكل شيء وتنال كل شيء فعجل بمقابلة عمى

ـ سأقابله بعد غد وافيدك بالنتيجة.

وبعد ذلك همت سعاد مستاءذة بالانصراف فودعها ابراهيم بنظرات ملؤها العواطف الى أن توارت عن الانظار

وعاد الى منزله فرحا مسرورا منتظرا قدوم الخادمة التى أوعدته بها سعاد . وصمم على ان يقابل عمها في أقرب فرصة .بعد دقائق معدوده كانت سعاد نازلة من الاتومبيل التاكسى فى محطة الزيتون بعد ان أمرته بالانتظار قليلا وبعد قليل أتي القطار الذى يقل أبنه عمها صباح .

وقف القطار فرت سعاد بدربات القطار فوقع نظرها على ابنة عمها فقابلتها مصافحة إياها باجمل عبارات اللقاء والترحاب

وعادت الاثنتان بالاتومبيل الى منزل سعاد زارت صباح

عمتها فسرت العمة كثيرا لهذه الزيارة وقامت من مضجعها وامسكت بيد صباح والقت على جبينها قبلة المحبة والوفاء فتقبلتها صباح شاكرة مسرورة .

وبعد محادثات عائلية دامت وقتا طويلا تناولت صباح طعام العشاء مع أبنة عمها سعاد .

وبعد تناول العشاء ارادت سعاد أن تنفرد بأبنة عمها لكى تستشيرها فى أمرها لانها ارادت أن تفضى لها ببعض اسرارها دخلت سعاد بصباح فى غرفة البيانو

وبعد سكوت دام برهة قالت سعاد ! !

— سأفضى اليك ببعض اسرارى ياأبنة عمى العزيزة فهل لك أن تكتميها ؟

— سرك فى بئر ياسعاد ! !

— احببت شابا يقيم هنا بجوارنا توفرت فيه كل شروط الرجوليه من علم . ومال . واخلاق أنه جميل جدا ياصباح ! ! وخفيف الروح سليم الذوق رقيق الشعور . كانت مقابلتى له صدفة فى قطار الزيتون . وقد ضحى من أجلى كل شىء حتى أيقنت ووثقت من حبه لى ومما يزيدك سرورا أن

حبه شريف وغايته بعيدة عن كل قصد سيء وفاوضني في أمر زواجه مني فبالطبع افهمته بأن هذه المسألة بيد والدك وسيقابله قريبا فرجائي أن تكون عند حسن ظني بك وتساعديني بقدر ماتستطيعين ان أتت هذه المناسبة امامك

وبعد تفكير طويل أجابتها صباح بالقبول وانصرفت مودعة بمثل ماقوبلت به من الحفاوة والاكرام بعد أن الحت عليها سعاد في مساعدتها . وعادت سعاد فرحة القلب منشرحة الصدر وتقدمت من عملتها واستأذنتها في أن توقع قطعة موسيقيه على البيانو فرحا بشقائها وسروراً لتحقيق أمانيها . فجلست على البيانو وبأناملها الجميلة وعلى مسمع من عمتها وقعت بعض مقطوعات كلها غراميه فنالت استحسان عمتها لأنها لم يسبق أن سمعت من سعاد مثل هذه الألحان . فطربت كثيراً وكانت تستعيدها . وبعد أن طربت وأطربت فكرت في ارسال أحدى خاماتها لحبيبها ابراهيم فنادت الخادمه نجيه وافهمتها على انفراد بأنها ستكون في خدمة خطيبها الان وزوجها في المستقبل وأنها اوصته بأن لا يخرجها من خدمته وأن يعاملها أحسن معامله وستتناول مرتبا لم تتناوله أي

خادمة أخرى وستكونين رئيسة الخدم بعد أن تزف سعاد إلى خطيبها ابراهيم .

قالت لها سعاد ذلك لانها كانت تعهد فى خادمتها نجيه الذكاء والنشاط وقوة الأدراك وسرعة الفهم

ففرحت نجيه كثيراً الا أنها قالت لسعاد وما هى طريقة خروجى من هنا ومن منا يفاتح سيدتى الكبيره فى هـذا الموضوع ؟ المهم

فقالت لها سعاد لا تفكري ولا تخشى شيئا وسأفاتحها أنا بنفسى بشأنك وما عليك الا الموافقه . فقبلت الخادمه ذلك !!

ودخلت سعاد غرفة عمتها وقالت لها الخادمه نجيه تود أن تسافر الى بلدها لأن أمها مريضه جداً وقد قابلها أخوها أمس وهى تشترى بعض لوازم المنزل وافهمها بضرورة الاستئذان منا وسرعة سفرها لأمها المريضه .

فأستدعت العمه الخادمه نجيه واستعلمت منها عن صحة الخبر فاجابت بما يوافق كلام الآنسه سعاد . فأذنت لها السيده بالسفر بعد أن ساعدتها بما جادت به نفسها السمحة ولم تحرم أيضا من مساعدة سعاد . وبعد قليل كانت نجيه فى طريقها

إلى خطيب سيدتها ومخدومها ابراهيم تحمل بعض ملابسها وخطابا من سعاد لابراهيم بالتوصيه عليها :

طرقت نجيه باب ابراهيم فقام مطلا من النافذة لأنه فى انتظار قدومها وفتح لها الباب ولما مثلت أمامه ناولته الخطاب فتناوله بشغف وفضه بفرح وسرور وقال لها مرحبا برسول الحبيبه ! ! !

وهاك خطابها ! .

عزيزي ابراهيم

أهديك عاطر تحياتي وبعد . حاملة خطابى هذا خادمتى التي سبق أن حادثتك بشأنها فارجو أن تعتنى بأمرها ان كان يهمك أمرى وقد فصلت من خدمتنا بعد أن دبرت لها حكايه نالت القبول لدى عمتى وهى أنها ادعت مرض أمها وطلبت أن تسافر لتراها وهاهي آتيه اليك تبلغك سلامى

المخلصه المتفانيه في حبك

سعاد

وبعد قراءة الخطاب سر كثيراً وفى نيته تنفيذ أوامر المدموازيل سعاد.

الفصل السادس

الخلق المفقود

توجه ابراهيم الى حلوان وحظى بمقابلة عم سعاد فاكرمه وأحسن مقابلته ولاطفه لطفا زاد فى اعجاب ابراهيم بمكارم اخلاقه . وبعد ان تحادثا في بعض الشؤون طلب منه ابراهيم مصاهرته

فقال مختار بك : في من تريد مصاهرتى ؟

فقال : اطلب ابنة اخيك الآنسة سعاد

ـ انى لاأري مانعا من ذلك وارجوك الانتظار ريثما استشير افراد العائلة واطرح مسألتك هذه علي بساط البحث وافيدك !

ومتى اعرف النتيجة ياسيدى ؟

ـ انشاء الله بعد اسبوع

ـ وان اردت ياسيدى اليك أن تحصل على معلومات بشأنى فأنا من سكان الزيتون وكان والدى رحمه الله من كبار الاطباء المعروفين وتوفى وترك لى ثروة عظيمة لا يزاحمنى فيها احد وها أنا

أقيم بمفردي في الزيتون لان والدتي قد لبت نداء ربها عقب وفاة والدي بقليل. اضف الى ثروتي هذه أني حصلت من مصر على دبلوم التجارة العليا وسافرت الى الخارج فاتممت علومي هناك ونلت شهادات تدل على نجاحي وتفوقي على أقراني وها أنا اليوم أفكر في أمر زواجي ومتى تمت هذه الفكرة أعرض أمر مستقبلي عليكم بصفتك والد شفوق وصهر خبير بالامور فأمامي الان وظائف الحكومه كلها مفتوحة تتطلبني ولدي المال الوفير الذي يمكنني من ممارسة أي مهنة أخرى وعلى كل فأنا في غنى عن الفكرتين ولولا أني ما زلت في سن الشباب لاكتفيت بثروتي ولكني أرى من المستحسن أن لا أكون بلا عمل أمارسه فأن البطالة والشباب لا يتفقان

ـ هذا حسن ياولدي واذا وفقت الى عمل سواء كانت وظيفة حكوميه أو عملا حرا فهذا مما يزيدني سرورا وأفضله عن بقائك بلا عمل .

وبعد أن شربا القهوة استأذن ابراهيم في الانصراف وودعه على أن يعرف النتيجة بعد اسبوع عاد ابراهيم مغتبطا

مسروراً مما لاقاه من العطف وحسن اللقاء منتظراً بفارغ الصبر معرفة النتيجه الا أنه مما يؤسف له أن الدهر القاسي أراد أن يمكر صفوه . فان صباح أبنة عم سعاد حقدت عليها لأنها حينما وقع نظرها على ابراهيم من طرف خفي وهو بمنزل والدها اعجبها ظرفه وفتنها جماله وسرها حديثه فتمنت أن يكون هذا الزواج لها لا لأبنة عمها واكل الحسد صدرها فلما طرحت المسألة على العائلة كانت صباح التي خانت عهد سعاد تسعي بكل ما أوتيت من قوة فى ايقاف هذا الزواج مقترحة أنه من مبادىء العائلة وتمشيا وراء العادات المتبعة فى معظم مسائل الزواج هى أن تزف سعاد الى ابن عمها شقيق صباح بدلا من أن يطلب يدها شخص أجنبي مهما كانت ثروته وكان علمه وجاهه . واخيرا قر رأى الجميع على تنفيذ رأى صباح لأن اقتراحها قد نال قبولا فى «مجلس النواب العائلى» مسكين انت يا ابراهيم فان آلامك واحزانك أضعاف أضعاف أفراحك ومسراتك . وكلما سنحت لك الفرص لتحقيق امالك عادت وضنت عليك فأفقدتك الأمل لا يزال ابراهيم فرحا . مقتمدا على موافقة سعاد له فى زواجه بها . الا انه

من النقص فى قانوننا العرفى والاجتماعى أن لا يرى الشاب الفتاة التى يطلب يدها وأن تعرض عليها مسألة زواجها ليكون لها رأى حر صريح ولكن اصبحت الفتاة موكول أمرها لولى أمرها فأن اراد أسعدها وأن اراد اشقاها .

شقاء وأى شقاء اذا تزوجت سعاد بغير حبيبها ابراهيم

لم يعلم ابراهيم بشىء من هذا وكل مايعلمه هو مقابلة عمها فى الميعاد ليعرف منه النتيجة وعلى ذلك حرر الى سعاد هذا الخطاب :

عزيزتى سعاد

تقابلت مع عمك فلاقيت منه ظرفا ولطفا عقدا لسانى عن شكره والثناء ، على جميل خلقه ولطيف ملاقاته وقد عرضت عليه مسألة الزواج فلم يرهانعا الا أنه تمشيا مع العادات المتبعه ولعدم سبق معرفته بي اراد أن يحصل على معلومات بشأنى وباطبع هذا مما يسرنى كثيرا ويسرك ايضا . كيف صحتك الآن ؟ اتعشم أن تكونى سعيدة على الدوام .

هل من شيء تودين اخبارى عنه ؟

وصلتنى خادمتك فأنزلتها منزلة السيدة لا الخادمة

وهامى تتصرف في كل شيء وتحت أمرها كل شيء ولو أردت أن أنحى أمامها اذا طلبت منها شيئا فلا بأس من ذلك مادامت قد حازت مركز السيدة الوقوره . بودى أن أقابلك قريبا ولكن يستحسن أن تكون مقابلتنا بعد معرفتى النتيجة

إلى اللقاء ياحبيبتى ودمت ؟ لمحبك ابراهيم

وصل هذا الخطاب الى سعاد فسرت منه وفرحت به وانتظرت النتيجة بفارغ الصبر لانها نتيجة سيعقبها موت زؤام أو حياة سعيدة .

ردت سعاد على خطاب حبيبها ابراهيم :-

عزيزى ابراهيم

وصلنى خطابك فسررت منه جدا ويزدنى سرورا وانشراحا ظهور النتيجة المرضيه انشاء الله .

رجائى التكرم بارسال الخادمة نجيه ! ! استغفر الله الآنسة نجية مساء اليوم لمنزلى حيث أن عمتى قد خرجت الى الطبيب بصحبة باقى الخدم لانى سأكلفك بمسألة بسيطة جدا ستعرفها متى عادت نجية واختم خطابى باهدائك اشواقى الخالصه

سعاد

نفذ ابراهيم لها رغبتها وارسل اليها نجيه وعادت وفي يدها حلق من الالماس الثمين المعروف « بالبرلنت » وافهمته أن سيدتها سعاد ترجوه كل الرجاء بأن يقوم بتصليح احدى قرطيه لتكون كالاخرى لان بها خللا يمنعها من التزين به وناولته ورقة من فئة الخمسة جنيهات لينفقها فى تصليحها .

سر ابراهيم من هذه الخدمة البسيطه وفى الوقت نفسه آلمه ارسالها نقودا لأنه لم يظهر امامها بمظهر العجز حتي ترسل اليه نقودا ولكن لا فائدة من العتاب الآن واجمل العتاب ما كان وقت اللقاء .

كثيرا ما كان ابراهيم يستأنس من رياضته بقرب قصر البارون وقد زاد اعجابه وميله الى تلك الرياضه منذ تعرف بحبيبته سعاد وتلاقيا فى هذا المكان .

قصد ابراهيم صباح اليوم التالى جهة قصر البارون مبكرا للتريض كعادته ومعه الحلق حتي اذا ماوافت الساعه العاشره توجه الى محلات الجواهرجيه لاصلاحه . وبينما هو يتنزه بموتوسيكله فى هذه الجهه وكان يسير بسرعه متوسطه انقلب الموتوسيكل فلم يصبه بضرر ما والحمد لله فقام واصلح

نفسه دون أن يفكر بأنه فقد شيئا وعاد ثانيا .

اظنك أيها القارىء الكريم من معرفتك لعنوان هذا الفصل ستعلم بلا شك أن الذى فقد هو حلق سعاد . ! !

نعم هو المفقود ! ! .

حان وقت الضحى وقد أتم ابراهيم رياضته فعاد بموتوسكله الى جهة الصاغه لمرض الحلق على الجواهرجيه هناك ولما اقترب من الصاغة اراد أن يكون على استعداد في تقديمه الى الجواهرجي وبينما هو يضع يده فى جيبه واذا به لم يجد الحلق انفطر قلبه جزعا وتفتت احشاءه حزنا وألما . كيف لا يتألم ولا يحزن والمفقود هو حلق سعاد .

عاد ابراهيم الى الجهة التى وقع فيها بموتوسيكله للبحث والتنقيب وكان يقول وهو عائد : ـ

كم كنت أفضل أن يكون انقلاب الموتوسيكل سبب موتى دون أن يفقد حلقك ياسعاد .

ياليتنى كنت قد امعنت النظر فيه طويلا وتفقدته بدقة ليكون رسمه فى مخيلتي حتي أعطي اوصافه لمن يصنع مثله تماما أو يوجد عنده ما يماثله بالضبط . أ ، أكون

مسرورا لو فقدت كل ثروتي ولم أفقد هذا الخاتم . كيف أقابلك يا سعاد وقد بحثت عنه بحثا قد أفقدني الامل . ماذا تظنين وبماذا تؤولين ضياعه . أتصدقين ياعزيزتي أنه فقد مني؟

وهل اذا عرضت عليك ثمنه تقبلينه ؟

أني مستعد أن أعوضك بدله ما تبلغ قيمته عشرة أضعاف ثمنه ولكن هل تقبلين عوض الفاقد ؟ وان قدمت اليك بدله كهدية فهل تنال الهدية قبولك كما لو كانت هدية غير مسبوقة بفقد هذا الخاتم ؟

جمع ابراهيم عددا ليس بالقليل من الباعة والمتجولين في الطريق وافهمهم بأنه فقد في هذه الجهة خاتما ثمينا من الماس وحدد لهم الجهة التي يبحثون فيها ويرافقهم في بحثهم بعد ان أعطي كلا منهم أجرة بحثه وتنقيبه مقدما ووعد من يعثر عليه بعشرة جنيهات . استمر البحث والتنقيب حتى غابت الشمس وطلع القمر وهم لا يزالون مستمرين في البحث عنه على ضوء القمر . ولما مللوا وأعيتهم الحيل في العثور عليه انصرفوا آسفين وكان كل منهم يود أن يحظى بهذه المكافأة . .

بقي ابراهيم في مكانه ولم ينصرف خشية أن يعود

أحدهم فيبحث عنه وربما ساعده الحظ وعثر عليه فلا يفكر في المكافأة البسيطة فى جانب قيمته الثمينة .

ظل ابراهيم يجوب الجهة من مشرقها الي مغربها وكلما استراح قليلا قام واستأنف البحث عن الخلق المفقود الى ساعة متأخرة من الليل فكان فى شدة التعب حتى انه اصبح لا يحتمل الوقوف على قدميه . فالقي بنفسه على الارض بجوار موتسيكله وهو يبكي بكاء مرا واخيرا فضل ان يشترى لها خلقا آخر أجمل وأثمن منه وان يقدمه لها بعد ان يخبرها بحقيقة المسألة وادار آلة الموتوسيكل فلم تتحرك فانحني ليصلح مابه من الخلل واذ بالخلق بين عجلاته .

طار فرحا بعد أن فقده فوجده بحالته التى تسلمه بها من يد نجيه ، ونام هذه الليلة بحلم ألذ الاحلام وفى الصباح ركب موتوسيكله الى الصاغة فاصلحه وقصد منزله والسرور يملأ أسارير وجهه .

ونادى نجية واعطاه لها داخل علبة من قطيفه جميلة واوصاها بتوصيله لسعاد دون أن يراها أحد وأن تتبع التعليمات التي تلقتها من سعاد بأن لا يراها احد اذا أتت لمقابلتها

ورد لها مبلغ الخمسة الجنيهات وافهمها أنه اذا اعترضت سعاد على ارجاع المبلغ فتخبرها بأنه أصلحه عند احد أصحابه بدون ثمن وأنه فى خدمتها على لدوام وهذه أول خدمة من قبلها وهو يتمنى أن يكون فى خدمتها مجيبا لطلبها منفذا الرغبانها واوصاها بأن لاتعود بنقود مهما شددت سعاد فى دفع نفقات اصلاح الحلق

توجهت نجية لمنزل سعاد وقابلتها على انفراد واعطتها الحلق فبعد أن تناولته سعاد ونظرته وجدته أصلح تصليحا متقنا فسرت كثيرا

ولما رأت نجية أن الحلق نال اعجاب سيدتها سعاد ردت اليها المبلغ فقالت لها سعاد : ـ

— الم تعطيه الى سيدك ابراهيم ؟

— اعطيته له ياسيدتى وهاهو قد أمرنى برده اليك !

— بلغيه تحيتى وقدمي اليه شكرى وامتناني وردى اليه المبلغ ثانيا !!

— لقد اوصاني بأن لا أعود به ثانيا وكلفني بأن اخبرك بأن احد اصدقائه قد قام بتصليحه دون أن يتناول منه أجرا

لان صديقه هذا رأى أن تصليحه لايستحق اجرا

فاقتنعت سعاد بذلك وارجأت التكلم في هذا الموضوع لفرصة اخرى .

وعادت نجية واخبرت سيدها بما حصل فسر كثيرا وشكرها على تأديتها المأمورية على مايرام

الفصل السابع
زواج

مرت الايام السبعة وهى المهلة التى اعطاها عم سعاد لابراهيم . الا أنه مما يؤسف له أنه قد حدث ما كانت تتمناه صباح أبنة عم سعاد التى نكثت العهد وخانت الود وأفشت سر سعاد . نالت فكرتها القبول لدى والدها وحقيقة فأن المرأة لا تقتلها سوى الغيرة

توجه ابراهيم فى اليوم الموعود على أمل أن لا يعود خائبا وقابل عم سعاد وبعد أن تحادثا قليلا في مسائل أخرى فاتحه ابراهيم قوله : ـ

ـ انشاء الله تكون النتيجة خير . . .

ـ كل خير ياولدى . الا أنى آسف جدا لعدم تحقيق رغبتك وأنت ولدى على كل حال والسبب فى ذلك هو أنه لما تحادثنا بشأن مسألتك المعروفة فكانت أغلبية الآراء على أن تكون سعاد زوجة لابن عمها ولدي عباس واظنك لا تكون متكدرا من ذلك ويصح لك أن تسىء الظن بنا اذا كنا

قدفضلنا عليك أحدا من غير العائله خصوصا وقد عرض علىّ مسألة زواجها اشخاص كثيرون معروفون لى شخصيا فكنت أجيبهم بأنها مازالت قاصرة فى ذلك العهد والان وقد بلغت من العمر الثامنة عشرة وولدى عباس قد اصبح في سنها فلا بأس من اتمام مسألة زواجهما تحقيقالرغبة العائله.

ـ اشكرك ياسيدى وأستأذنك فى الانصراف . .

وانصرف ابراهيم وقد خارت قواه وفقد ذاكرته واصبح لايعي شيئا حتي اصبح طريح الفراش . أظنك أيها القارىء بودك أن تعرف شيئا عن عباس هذا ابن عم سعاد وتتمنى أن تستطلع امره ... عباس هذا فخور بنفسه يتظاهر بالتأنق والوجاهة الا انه اذا اراد أن يمثل شيئا من هذه الصفات فلا يمكنه اتقان تمثيله حتى اصبح مشهورا بين اخوانه باسم « البك المزيف » لـكبريائه وعظمته الـكاذبتين . فأخيب منه منه لم تر العين وأجهل منه لم تسمع الاذن . طرد من المدارس الاميريه لسقوطه فى الامتحانات

واخيرا التحق باحدي المدارس الحرة وهو فى سنه هذا لم يتجاوز القسم الابتدائى ، فاذا قورن بينه وبين ابراهيم

لكان الفرق بينهما كالفرق بين الامير والحقير وبعبارة أخرى فالفرق بينهما كالفرق بين السماء والارض

شرع عم سعاد فى تنفيذ الزواج فاستدعي سعاد وعرض عليها الفكرة فالبطبع لم تبد أى رأى فال فى حياتها وأدبها مايمنعها من التحدث في مثل هذه الشؤون لان أمرها موكول لعمها ولو علم عمها بانها ستفضل الموت عن الاقتران بأبنه لاشفق عليها وزوجها بمن تحب وهي لاتحب سوي ابراهيم

حدد موعد عقد الزواج ففكرت سعاد فى تحديد موعد الانتحار

عادت سعاد بعد أن علمت بيوم عقد الزواج وهي فى حالة اسوأ من الحالة التى عليها ابراهيم وما يقاسيه من ألم وحزن وهو طريح الفراش لهفى عليكما أيها الحبيبين . !

كلا كما قد اصبح لا يرى سوى القلوب المتحجرة والضمائر الميته بعيدين عن كل قلب يدرك احساسكما ومن يملك هذا القلب سواكما . أنتما اللذان تشعران بكل شيء وتحسان بكل شيء وما عداكما فقلوب نزعت منها الرحمة والشفقة واصبحت لا تعرف معنى للعطف ولا محلا للاشفاق

أن الدهر قد أراد شقاءكما كما هي عادته مع المحبين فدأبه التفريق وابعاد الفرص

هاهي الطيور قد عادت بتغريدها الذي يثير الشجون حزنا عليكما

وهاهو قد اصبح كل مافي العالم غريب في نظركما .

هاهي سعاد في فراشها لم تغمض عيناها وقد أضنى جسمها التفكير في حبيبها ابراهيم والدموع تنحدر من عينيها رغم مقاومتها لتلك الصدمة القوية التي يتحملها قلبها الضعيف الرقيق .

أصبحت سعاد في حالة يرثى لها . واصبحت سعاد الامس غير سعاد اليوم من كثرة التفكير ولفزعها من التخيلات المؤلمة والاحلام المزعجة المحزنه التي تتخيلها في نومها ويقظتها فكانت تتمتم ببعض الفاظ وهي طريحة الفراش تذيب القلوب حسرة عليها

عمي . . .

ما أقساك قد سلبتني حقا شرعيا من حقوقي وهو أخذ رأيي في ماسأتخذه زوجا لي . هذا حق قد اباحته الشرائع

وحرمته علىّ أنت ما أقسى قلبك وما اجمد عواطفك تريدان تزوجنى من شخص اكرهه كره التحريم وماذا يكون من أمر زوج لايزال صبيا لا يعرف واجبات الزوجه ..

كيف اتزوج من شخص لم يكتمل عقله ولم ينضج فكره واكبر دليل على ذلك هو أن من فى سنه يتلقى العلم فى المدارس العالية وهو لا يزال فى المدارس الابتدائيه.

اللهم ـ بحق انبيائك وكتبك خذنى الى جوارك ولا ترنى ذلك اليوم المشؤوم الذى اكون فيه زوجة لابن عمى هذا

اللهم ـ سألتك الانتقام ممن تسبب فى شقائي فأنت المنتقم الجبار

آه يا ابراهيم .. اه ياحبيبى .. أننى احببتك حبا شريفا حبا قد خالط لحمى وعظمى ودمي وسرى فى كل جسمى وسكن فى فؤادى ..

كل شيء أراه شائعا بين الناس الا الصبر والجلد فليس لدى منهما شيء

لمن اشكو غرامى !!!

لمن اشكو بلوتى !!!

لمن اشكو حالى !!!

ابراهيم..

أنى اسمع صوتك الشجى دائما يرن صداه فى اذنى وشخصك ماثل امامى

أواه ياحبيبى ...

أظنك متألم !! فلا تتألم . . فأنا وحدى الذى خانتنى الجلد واضنانى البعاد . أما أنت فلا تيأس بل كن فرحا سعيدا وسا كون مثلك فرحة سعيدة اذا تحققت آمالى ومت وأنا احمل لك ذلك الحب الذى أفقدنى صوابى . حبيبى . .

أنى والله أبغض خطيبي واحتقره من كل قواى لأنه من أجله قد فقدتك ايها الحبيب

حبيبى . .

أناظر الى ؟؟

بودى أن أسلم الروح وأنت بجوارى ليناجيك قلبى . . .

حبيبى

أسلمت يدى لابن عمى دون أن أسلم قلبى الذى لا يملكه سواك أنه لك وحدك ملك لا ينازعك فيه أحد فى العالم ،

لاحظت عمة سعاد ، سعاد عليها السقم لانها رأت أن صحتها قد ضعفت وما زالت آخذة في الضعف وجسمها اصبح ناحلا ووجهها بعد أن كان كالبدر اصبح شاحبا مصفرا ،

سألتها . . . مالك ياسعاد ؟ ،

لاشيء ياعمتي العزيزة . دعيني فأني لا استطيع الكلام وأحس بأن جسمي يذوب من شدة حرارة الحمى

— بربك ياسعاد لا تخفي على شيئا فليس مرضك مرضا . . . . . ؟ ؟

حلوان ومصر الجديده هو وهما جاف فمن أين أتاك المرض ؟ ؟

— لا أدري بهذه ارادة الله !

— انني لا أطيق أن اراك بهذه الحالة فأخبريني عن حقيقة أمرك والا استدعيت لك الطبيب

— عمتي . . . الآن وقد اصبحت مريضة سقيمة فلا ينفعني شيء غير أن اصارحك القول وها هي مسألتي سأقصها

عليك ولك أن تفعلى ماتشائين فاما تسببت في شقائى أوكانت سعادتى على يديك . .

— خبرينى يا عزيزتى ولا تخشى شيئا . .

— أحببت شابا حبا قد تملك كل قلبى واصبح مسيطرا على كل عواطفي واحساسى وهذا الشاب يقطن هنا بجوارنا . فاتحنى فى أمر زواجي به فأشرت عليه بمقابلة عمي بعد أن اختبرته خبرة أكدت لى أن حبه طاهر شريف . وأظنك تتذكرين ساعة قدوم صباح هنا

ـ نعم

ـ عرضت عليها مسألتى واوصيتها بأن تساعدنى لدى عمى فى هذه المسألة ولولا مرضك ياعمتي فى هذا الوقت لكنت أنت خير من يساعدنى . . . ولكن صباح الخائنة بعد أن اوصيتها ورجوتها بعدم افشاء سري لدى احد فى بيت عمى فقد خانت عهدى ونكثت بوعدى وأنا واثقة من ذلك.

تقابل الشاب مع عمي وطلب منه مصاهرته فاستدعانى على اثر ذلك واشار علىّ بأن أكون زوجة لولده عباس الذى احتقره وأمقته وابغضته من كل قلبي وفؤادى وعد العقد الزواج

ـ ومتى هذا الوعد ؟

ـ قال لى بعد أن يتم ولده علومه الابتدائية ويستحيل على مثل هذا الغبي الجاهل أن يتم علومه ما دام قد اصبح فى سن يخجل أى شاب مثله يكون فى وجهه قطره دم أن يقول أنا اتلقى الدروس الابتدائية

وهنا بكت سعاد بكاء مرا فثارت عواطف عمتها ومزقت قلبها من الحزن والالم فطيبت خاطرها بعد أن وعدتها بأن تسعى لصالحها بأن توقف هذه المسألة . فتقبلت سعاد هذا الوعد من عمتها شاكرة

وفعلا انتهزت العمة فرصة وجود أخيها عندها فى زيارة وحاولت أن تقنعه بأن يوقف هذه المسأله ولكن ذهبت مع الاسف كل مساعيها هباء منثورا خصوصا وأن اخاها قد بالغ في القول مدعيا بأنه عالم بحب سعاد لفتى أتى يطلب يدها اسمه ابراهيم وقال انا لا اقبل مطلقا أن يكون أحدا فى عائلتنا محبا أو يتزوج زواجا مسبوقا بحب

ـ أن اسعد زواج وأهنأ عيشة ياأخي هو الزواج المسبوق بالحب والعيشة الهنيئة هى عيشة الوئام والوفاء

والائتلاف بين الزوجين

ـ ليس من حقك معارضتى فى أمر كهذا وأنا وحدى صاحب الحق في أن أتصرف فيه كيف أشاء وازوجها لمن أشاء ..

فسكتت العمة عند هذا الحد وعولت على أن تسعى بكل وسيلة ممكنة لتحول بين هذا الزواج القاضي على هناء سعاد

وكانت سعاد فى هذه الاثناء منتظرة خروج عمها بفارغ الصبر لتسأل عمتها عما تم بشأنها . ولما سألت عمتها أخبرتها بعلم الا انها وعدتها بأنه بستحيل مادامت هى موجودة أن تتزوج من عباس هذا وستزوجها بمن تحب ..

فسرت سعاد كثيرا وفرحت فرحا لامزيد عليه وابتهلت الى الله بالدعاء بأن يطيل عمر عمتها « لان فى قصره زواجها من ابن عمها عباس » وقامت على أثر ذلك وهي منشرحة مسرورة وسطرت لابراهيم هذا الخطاب : —

ابراهيم ...

الآن أن القلب بالحبيب . أظنك حزين بائس

تفكر فيما سيكون من أمرنا ؟ لا تفكر في شيء ولا تهتم بأمر عمي ودعه يفعل مايريد فقد أصبحت في كنف عمتي التي أقسمت لي بأغلظ الايمان بانها لاتزوجني إلا بمن أحبه وأهواه بعد أن أفهمتها مسألتي بعد أن أضنانى المرض ونحل جسمي الفكر عقب عودتي من منزل عمي الذى استدعاني وعرض عليَّ زواجي بابنه عباس الذي لا أقبله واحتقر شخصه احتقارا شديدا . والان فيمكنك أن تأتي شخصيا لزيارتنا ليثبت لديك أننا نعمل على سعادتك وهنائك فكن سعيدا لاتجعل اليأس يتخذ له مكانا من قلبك فما تملك اليأس قلبا الا وقتله

امتدحتك في حضرة عمتي ولم أبالغ في وصف شخصك المحبوب لها باكثر مما تستحقه عن جدارة واستحقاق وهاهي تتمني أن تحظى برؤيتك وكلانا في انتظارك ودمت لحبيبتك

سعاد

وصل هذا الخطاب لابراهيم الذى تركناه طريح فراشه بعد أن تراكمت عليه الهموم والاحزان والحمد لله الآن فقد زالت همومه واحزانه بورود خطاب حبيبته سعاد

وها هو فى طريقه الى منزل سعاد ملبيا دعوتها . منفذا رغبتها وتمنى لو أن له اجنحة يطير بها وخيل اليه ان الموتوسيكل الذى ركبه الى منزل سعاد لا يتحرك مع شدة سرعته وظن أن الارض تعود بالموتوسيكل الى الوراء فاخذ يسرع كل الاسراع ليمتع قلبه وسمعه بمن تهواه ويهواها

الفصل الثامن

الآم واحزان

ذهب ابراهيم إلى منزل سعاد لزيارة عمتها الا أنه مما يستوجب الاسف ويستجلب الحزن أن تلك العمة عادت صحتها إلى التقهقر والانحطاط لانها بلغت من العمر عتيا فكنت اذا رأيتها وقد كمنت لها الصحه لا يمضى قليل الا وتراها تشكو من مرض ألم بها الا أنها قد استجمعت كل قواها وقاومت المرض لكى لا تظهر مرضها لابراهيم لانه هو وحبيبته يملكان على حياتها كل امالها وان ينالا السعادة الا فى حياتها وعلى يديها

دخلت سعاد غرفة عمتها تنبئها بخبر قدوم ابراهيم فاعتدلت من رقدتها فوق الفراش واسندت ظهرها على وسادة وأذنت سعاد بدعوته لزيارتها وبعد برهة دخل ابراهيم فقابلته العمة بأجمل عبارات الترحيب وأظرف صيغ اللقاء ، فسر ابراهيم كثيرا بعد أن قبل يدها شاكراً وبعد أن تناول القهوة واشعلت له العمه سيجاره تناولها

ممتنا فابتدأته بالحديث قائلة : -

لقد وقفت على شيء من أمركما ياولدي وها أنا اعمل دائما على راحة أبنة أخي مضحية كل شيء في سبيل سعادتها وهنائها لأنى احبها حبا كالعبادة . وقد وعدتها وعدا صريحا بأنه متى البسني الله ثوب العافية واعاد الى الصحة أتمم لكما مسألة الزواج وأخرجها من حيز القول الى الفعل الصحيح ولا تفكر قط فى أخى فأنه جاء لزيارتى هنا فحادثته بشأن سعاد لأعرف ماعول عليه بخصوصها وقد رجوته بألحاح بأن يزوجها منك وأن يوقف زواجها بأبنه عباس الذى تكرهه سعاد وتبغضه من كل قلبها لأنها اوسع منه علما واكثر اطلاعا واكرم خلقا وملمة بالشيء الكثير مما لايعرفه هو ولا بعد عشرات السنوات فكيف يكون الوفاق بينهما خصوصا واذا كان الزوج مثل هذا لم يكتمل عقله ولم تقو مداركه ولم يزدفى العرفان عما يعرفه كل صبى صغير الاحلام . ولما وجدت منه خشونة في القول وتصميما نهائيا على تنفيذ فكرته تركته على أن لاأعود فأحدثه فى مثل هذا الشأن مرة ثانية فادعو لى ياولدى بالعافية وأنا أحقق لكما رغباتكما وامتعكما بالسعادة

وهذا كل ماأرجوه لكما وأتمناه

ـ أني ابتهل الي الله تعالى بالدعاء ليل نهار وفى كل آن بان يقرب لك يوم الشفاء وأن يمتعك بالصحة والعافية

ـ شكرا لك ياولدى . .

بعد أن تحادثا فى بعض الشؤون الأخرى وجمعا من كل بستان زهره ومن كل نبع قطرة . استأذن ابراهيم فى الانصراف وودعته سعاد بدلا من عمتها التى لم تستطع النهوض من الفراش وخرج وسعاد معجبه برقته مستأنسة من حديثه وانصرف بعد ان اوصلته سعاد الى الباب الخارجى وثغرها يبتسم وقلبها يكاد يطير من مكانه من شدة الفرح . كل هذه المقابلات وتلك المراسلات سواء على انفراد أو فى اجتماع والفضيلة ممثلة فى شخص الحبيبين وعفافهما مصون بقوة ارادة وشدة حزم وهذا اجمل مبدأ تشيد عليه السعاده ويجنى منه أطيب الثمر لا

عاد ابراهيم الى منزله ولاهم له سوى الدعاء للعمة بالشفاء فاصبح لاشاغل يشغله ولا شيء يفكر فيه سوى الدعوات الصالحات التى تتردد علي لسانه فى كل حين . فاللهم تقبل منه

وحقق أمانيه .

كانت سعاد بجوار عمتها في مساء احدي الليالى تناولها جرعة ماء وبينما هي تقدم لها الكاس وناديها واذا بالعمة لاتجيبها فامسكت سعاد بيد عمتها واعادت مناداتها . عمتى ! عمتى ! فلم تجب فوضعت أذنها بالقرب من قلبها فوجدته قد وقفت حركته واسلمت الروح بهدوء

سقط قدح الماء من يدها وصرخت صرخة دوت فى كل ارجاء القصر وحضر الخدم مهرولين واجتمت الجيران على أثر تلك الصرخة وهذا الفزع فعلموا بأن عمة سعاد قد ماتت

أني لاأدرى أن اخط بيدى كلمة واحدة فقد خارت قواي وسالت دموعي وتأثرت عواطفي من تلك النكبة التى لحقت بسعاد من جراء موت عمتها فقد تهدمت كل آمالها وتحطم بناء سعادتها بعد ان كان شامخا شاهقا

اسرعت احدي الخادمات الى التليفون واخبرت عم سعاد بحلوان بخبر وفات أخته فاسرع بالحضور وأعدمعدات المأتم وواروا العمة العزيزه التراب باكين عليها ذاكرين لها

اطيب الذكريات واحسن الثناء . وبعد مرور اربعين يوما على وفاتها اراد العم اللئيم أن يستدعى سعاد الى منزله خوفا عليها من كثرة البكاء والنحيب فطلب منها ذلك فوجدها تهذي هذيان المحموم ولا تعي ماتقول فأتي بزوجته مع خدمها ليكون الجميع فى خدمة سعاد رغما تتحسن حالتها وارجأ فكرته الى ان يتم لها الشفاء وكان يعودها بنفسه كل يوم

ولكن سعاد كانت طريحة الفراش تائهة غارقه فى خيالات محزنه وشبح الموت ماثل أمام عينيها لايفارقها لحظة وهي تناديه بأن يقترب منها ليريحها من هذه الحياة التعسة المرة .

تعالى معى أيها القارىء الكريم لكي انبئك عن حال ابراهيم .

هاهو ابراهيم لايمكنى أن اخبرك بأكثر من أنى قد عجزت عن وصف حاله فبعد علمه بموت من عاق عليها أمل سعادته قد اصبح لايعرف ان كان مجنونا أومريضا أومعتوها فأنك لاتسمع منه غير زفرات حزن وتنهدات ألم وأنات بؤس فتارة يقول كأن حبيبته قد ماتت : —

أيتها الطبيعة أبق على رمق واشفق لى فأنى بخشوع اسألك الرحمة وبخضوع اسألك الشفقة رفقاً بقلبى الضعيف الذي قد اماته الحزن . انى انظر إلى العالم نظرة الوداع . لأني افارق الحياة واست آسفا عليها ولا نادما من أجل فراقها ولا باكيا على من فيها إلا أنت ! ! !

واين أراك ياحبيبتي ؟ ؟ قريبا ستكونين مشمولة برعاية لئيم لايعرف قلبه الرحمة ولا توجد فى عواطفه آثار من الشفقة .

ماشربت كأسا إلا وكانت الهموم والاحزان راسبة فى آخرها . ماوضعت أملى فى شيء إلا وافقدنى الهم كل رجاء حتي اصبحت الحياة مكروهة منى وكل من عرفها معرفتى فأنها اصبحت سوداء اللون فى نظرى فما وجدت شيئا من محاسنها اذكره ولا شيئا من حسناتها أجده . وما الذي ادخرتيه لي من السرور أيتها الحياة التعسة حتى تنغصين عيشي وتفقدين أملي وهاهو الأمل قدضاع منى واصبحت لا اعيش بغيره . اتظنين أيتها الحياة أنى افرح بك وأنت عابسة وأسر منك واصبحت لست جديرة لابهذا ولا بذاك فبئس

أنت وبئس شقاؤك واحزانك . لم أر منك أيتها الطبيعة جلالا ولا جمالا فاين جمالك وجلالك ؟ أنى اصبحت فاقد البصر لا انظر شيئاً . فقد اصبحت فى هذه الأرض الموحشة لا أنيس يسامرني ولا جليس يساهرني ابكي وكل مافى فؤادى شجن .

مالي أرى الكآبة قد غرست جذورها فى نفسي وجعلت لها موطنا فى قلبي لم يقطنه أحد سواها وكلما حاولت نزعها واقتلاعها من قلبي فشلت فى أمري وضاقت بي الحيل فليت شعري ! لعل الشقاء دواء لم اعرفه ! . وربما يوجد هذا الدواء وأنا بعيد عنه .

فيا قلبي اضرب ضربات الحياة . حياة الأمل وإلا فاسكن سكون العدم فى عالم الفناء . . احببتها وكان حبي نقيا طاهرا وكانت تحبني كما أحبها وقلبينا واحد ونفسينا واحدة وقد سنحت الفرصة للعاذلين بالتفرقة بيننا . .

ماتت عمتها العزيزة التى كانت تحول بيننا وبين هذا الفراق المؤلم وهاهم سيبذلون كل ما استطاعوا من جهود . سيقصونك عنى أيتها الحبيبة ويبعدونك من جوارى

ويحرمون عيني رؤيتك ولكن هاهو قلبي يناجيك مهما طال بعدك عني بعد النجم عن الأرض فأني على عهدك مقيم ولن انساك مادام بي رمق من الحياة .

كيف حالك الآن ياحبيبتي ؟ ؟

وكيف اتوصل لمعرفة اخبارك ؟ ؟

لهفي عليك . . لست أدري من أمرك شيئا . اذكرك في كل صباح مشرق وابعث لك السلام مع النسيم .

يقولون أن الحب أوله حلو وآخره مر ولكن حبنا هذا على الدوام يذكر بالفخر . ومن أين تأتيه المرارة مادام طاهرا نقيا فكفي أني اتعذب من أجله كلما هيجتني الذكرى وها أنت على الدوام في ذاكرتي .

بودي أن أمر علي ديارتك . . . مستفسرا عنك وعن حالك وأبذل قصارى جهدي في سبيل الدنو منك وها أنا اعمل على تقصير أجل الابتعاد . اصبح ابراهيم في حال تذوب له القلوب حسرة . واصبح مركزه حرجا فهو لا يقوى أن يرسل اليها خطابات لان اخبارها قد انقطعت عنه ولا يعلم ان كانت مريضة أو في صحة جيدة واذا ارسل

خطابا اليها فربما وقع فى يد غير يدها خصوصا وأنه لايعلم من اخبارها واحوالها اكثر من وفاة عمتها .

استجمع قواه ونهض من فراشه ولبس ثوبه وخرج ليستقى الاخبار ويتفقد الاحوال فمر بجوار منزلها فتصادف أن تقابل بخادمة صغيرة كان يراها في منزل سعاد فاستوقفها وبظرف ولطف سألها : ـ

— هل احمد بك عم الست الصغيره موجود بالمنزل ؟

— أنه لايأتى الا فى المساء ياسيدى ؟

— وأين سعاد ؟

— بالمنزل مريضه

— مريضه ! ! ؟ متى اتاها هذا المرض . امن عهد قريب ؟ ؟

— لا ياسيدى فهي مريضة من يوم وفاة عمتها !

جزع ابراهيم لمرضها وزاد حزنه وعظم ألمه وقال كيف يكون حالى لو ماتت حبيبتي ؟ وهى مهجة قلبي ولمن اشكو همومي وابث احزانى من بعدها ؟ ؟

يارباه . . .

رحمة بشاب لم يذق من الحياة الامرها .

حبيبتى . . .

ان مت فسألحق بك ولكنى لااحتمل خبر موتك أذن فسأبقك ولا اطلب منك اللحاق بى فكونى سعيدة فى حياة رغدة . وأما انا فقد خلقت لكي أشقى وهاهى السماء قد اظلمت واكفهرت وعصفت الرياح وعما قريب تسمعين خبر موتى فلا تحزنى ولا تجزعى .

ان كنت تودين أن لا اكون قلقا فى قبرى أظنك لاتودين لى غير السعادة والهناء . اذا فلا تحزنى لموتى ولا تألمى لفراقى فانى قد أصبحت لا أقوى على احتمال هذه المصائب مادام الصبر قد فارقنى وقد ضنت على الطبيعة بعطفها والشفقة والرحمة اصبحتا لاتحومان حولى ولا يعرفان الى سبيلا

أراد الله تعالى وأرادته فوق كل أرادة . بأن أعيش يتيم الاب والام فعللت النفس بالامل وظننت بأنى سأجد السعادة التى تنسينى حزنى على والدى وألمى لفراقهما وها أنا قد قضيت بجوارهما زمنا قصيرا لاأصفه ولا أعبر عنه باكثر

من برهة وجيزة تخيلت فيها أنى أصبحت أسعد السعداء ولكن سرعان ماأصبحت أشقى الاشقياء فتارة أبكى بكاء مرا وطورا أضحك ولكن علام اضحك ؟ ؟ . اضحك من شدة وقع المصاب . واسخر من النفس التى تفرح في لحظة وتحزن قبل انقضائها . فحقا ان شر البلية مايضحك ! ! ! لقد اختلت مشاعري وذهل عقلي ونحل جسمى وفقدت ذاكرتى وقريبا ساكون مجنونا ولا شك وانا أشعر باني فى مبادىء الجنون لان تلك المصيبة التى نزلت بي لا تحتملها الجبال فكيف اقوى أنا الشاب المسكين الضعيف على احتمالها . انها لمصيبة تندك لها القلاع والحصون تلك النكبة التى اصبت بها وهى فقد من كانت تسعى وتبذل الجهد فى سبيل سعادتنا وهنائنا وهاهي قد زادت بلوتي بمرضك ايتها الحبيبة ويالينتى كنت بالقرب منك لا افارقك أبدا فاما أن نحيا معا أو نموت معا . من ياترى القائم بخدمتك الان ؟ وهل يوجد من هو جدير بمواساتك سواى ؟ ؟ اني أملك ذلك القلب الذى يتألم لألمك ويفرح لفرحك

ويحسن لكل ماتشعرين به .

اه ياحبيبتى

لو افتديك بالروح لقدمتها اليك عن طيب خاطر .

حبيبتى

كم أكون مسرورا لو شفيت أنت ومرضت أنا ؟؟

فأني احتمل الصعاب دون ملل ولا ضجر

حبيبتى . . . .

هل من شىء أغلي وأعز من الروح أطرحه تحت قدميك لتعلمى أنى اصبحت لا أستطيع أن اعيش الا بقرب ذلك القلب الذي كثيرا ماعطف علي وشاركنى الحزن وقاسمنى الألم :

أود أن أبعث اليك فى كل لحظة بطبيب ماهر

ولكن تعود الى الذاكره فاقول : ـ

أنا وحدى الطبيب فأني عالم بحقيقة مرضها ولدى دواء شفائها

سعاد . . .

هل من يوم قريب اراك فيه تتمتعين بصحة جيدة ؟ ؟

ومتى ذلك اليوم الذى اسمع فيه عذوبة الفاظك ورقيق عباراتك وأشاهد فيه تلك المحاسن اللطيفه والملامح الجميلة الجذابه

اللهم . . عجل لها بالشفاء والبسها ثوب العافية فانت سميع مجيب الدعاء .

الفصل التاسع

الفراق

أن الاطباء يعودون سعاد كل صباح ومساء . وهاهو المرض قد اشتد عليها وقد فقدت النطق اخيرا . كل هذا وابراهيم لايعلم من أمرها اكثر من أنها مريضة. ولكن المرض قد بلغ بها أشده ووصل الى حالة تنذر بالخطر . كل طبيب يرى الداء ويوصف الدواء ولكن لا فائدة فى دواء ولا أمل فى شفاء . داؤها ودواؤها ابراهيم . وياليتها كانت تستطيع المنطق حتى كان يؤتي لها به لتراه. ففي رؤيته لها الشفاء الا كيد. لهفي عليك ياسعاد ! !

لا عاطفة ترق ولا قلب يشفق فقد فقدت كل اعزائك واصبحت وحيدة فريدة بعيدة عن الحبيب . فهما بذل الجهد عمك متظاهرا بخدمتك عاملا على راحتك كل هذا الكذب ونفاق فهو وحده المتسبب فى شقائك وكان الاجدر به أن يضرب باقتراح ابنته صباح عرض الحائط . حرمتها السعادة وفرقت بينها وبين من اودعته قلبها وخصته بحبها دون غيره

مهما كانت مهارة الاطباء ومهما عظمت فائدة الدواء فكل هذا لايجدي نفعا

خدامك ياسعاد يذرفون الدمع السخين ويبكون بكاء مرا على رقتك ومكارم اخلاقك وجودك وسخائك وهاهم كاليتامى الذين فقدوا أمهم فليطل الله فى عمرك ويمدفى اجلك لتكونى للبؤساء عونا وللمحتاجين نصيرة ويحظى برؤيتك حبيبك الذى فقد كل أمل حتى استولى اليأس على قلبه وكاد يقتله

سعاد ! !

قد حار الاطباء في أمرك فهل لك أن تشيرى ولو بيدك اشارة يفهم منها انك تحبين ابراهيم حتى يؤتى لك به اذا كان في القلوب عاطفة تشفق وقلب يحن لك

أن ابراهيم بقربك مفتت الكبد متقطع الاحشاء لايحول بينه وبينك سوى عمك القاسى القلب النارى المزاج

سعاد ! !

لاتظنين أن حبيبك قد هجرك أو نسى حبك فهو لا يزال على عهدك مقيم وان كنت قد فقدت عمتك العزيزة فللى النفس بحياة حبيبك

زار أحد الاطباء سعاد فى صباح يوم فوجدها متأخرة وصحتها متقهقرة فدعى عمها على انفراد وافهمه بأن سعاد لا لا يرجي لها شفاء. وما أتى المساء الا وسعاد فى حالة لا يرجي منها النجاح ولكنها كانت تنطق بكلمات غير جلية وبصوت تختنقه العبرات تقول

هاأنا يابراهيم سأفارق الحياة ولست نادمة عليها ولا آسفة على عزيز فيها سواك : فالحقنى فى دار الآخرة حيث توجد السعادة والهناء . مادامت الطبيعة قد حرمتني رؤيتك وما اتت على آخر كلمة الا وكانت جثة هامدة

فنى ذمة الله يازهرة كانت تتفتح لكلمة الحب فكان الحب سبب موتك

فى ذمة الله !

ياكوكبا اخفاه الكون وسرعان ماسقط هاويا .

في ذمة الله !

يامن تعلقت بك الا مال وهاهى قد أصبحت الآم واحزان

فى ذمة الله ياسعاد

يامن احببت فكان حبك طاهرا نقيا وكنت تتمنين

تقرب حبيبك فى الزفاف مرتدية ثياب الطهر وعلى رأسك تاج العفاف . وهاأنت اليوم تزفك الملائكة الى مقرك الاخير فنامى نوما هادئا تبكيك العيون وتتفتت لك الاكباد

ففي ذمة الله ياسعاد ! ! !

ماتت سعاد ! ! وكيف يكون وقع هذا الخبر على قلب ابراهيم فسيلحق بها لامحالة :

نعود بك أيها القارىء الكريم الى ذكر ابراهيم فبعد أن أعيته الحيل ترك منزله على أن يزور سعاد بأى وسيلة كانت ومهما كان في زيارته هذه من الملام . وبينما هو فى طريقه وإذ به يسمع العويل والبكاء قريبا من دارها. فدهش وانزعج بعد أن تأكد من أن مصدره منزل سعاد. استطلع الخبر فاذا بسعاد هى المأتمه.

وقع هذا الخبر على قلب ابراهيم وقوع الصاعقه ودب دبيب الرعب فى قلبه واستولى عليه الجزع والفزع.

شيع جنازتها ليعرف مقرها الاخير ليوصى بأن يكون بالقرب منها فى المهات وعول على أن لا يبرح قبرها طول حياته.

عاد المشيعون بعد أن واروا سعاد التراب مأسوفا

عليها مبكيا علي شبابها إلا ابراهيم فأنه بقى هناك وبعد ذلك وجد نفسه فريداً وحيداً أمام قبر حبيبته فقال وقلبه منفطر من الحزن وعيونه تقطر دما :

ماتت !!!

تلك التى علقت عليها كل آمالى .

ماتت !!!

من كنت احترمها وأحبها حباً هو العبادة بعينها :

ماتت ! ! ! زهرة أمالي ومصدر حبى -

آه . . . ماأشد حزنى اوما أعظم بلوتى -

ياربا ه . . .

خلقتنى فى هذا العالم لكي اشقى ؟ ؟

ماتت ! ! !

مالكة عقلى ولبى .

ماتت ! ! !

من كانت تبادلنى الحب من قلب لايعرف المكر والخداع

ماتت !!

من كنت إذا رأيتها أخذ قلبي بخفق لها اجلالا وتعظيما

ماتت ! ! !

من كانت تفرج كربي وحزني

اختطفت مني يد المنون على حين غفلة من كنت افتديها بحياتي ومالي .

أردت أن انتصر على الدهر بما فيه من مصائب واحزان والام فسلبني سعادتي وهنائي

حبيبتي ! ! !

أرثيك بقلب ملؤه الاحزان والاكدار

ماتت ! ! !

من كنت ارجوها من هذا العالم .

ماتت ! ! !

من كنت اشتهيها في هذا الوجود .

ماتت ! ! !

من كنت اجلها واحترمها

ماتت ! ! !

من كنت افضلها على سائر الخلق

حبيبتى . . .

كيف ابتعدت عنى هذا البعد الذى لا لقاء بعده الا فى العالم الثانى

حبيبتى . . .

هل رأيت أن العيشة وأياى فى هذه الدنيا اصبحت مؤلمة محزنة حتي فضلت مفارقتى ؟ ؟ ولكن قريبا سألحق بك حيث الخلود الأبدى

حبيبتى .

هل كرهة الحب وسئمت السعادة والهناء ؟ ؟

حبيبتى . .

هل وجدت انى أحببت غيرك فتكدرت منى وغضبت من فعلى ؟ ؟

حبيبتي . . .

هل اردت أن تستريحى من عناء الدنيا وتركتينى اقاسى عناءها وحدى ؟ ؟

حبيبتى . .

سألبس الحداد طول حياتى ولكن لاحياة لى من

بعدك ! ! ! ! .

حبيبتى . . .

أن اجتيار المسافة بين الدارين سهل فتأكدى بأنى سألحق بك هنا وابتهل بلقائك فى تلك الارض المقدسة حيث تنشر الحب الخالد ! ! !

ماهذه المصيبه يارباه ! ! !

حنانيك يا الله ؟ ؟

أسألك الصبر واطلب السلوان

أن العالم قد اصبح فى نظرى بؤسا فى بؤس وشقاء فى شقاء كأن الدنيا لم تخلق الا للتعاسة وعدم الهناء ! ! !

حبيبتى . .

ثقى بان الدنيا من بعدك اصبحت ليس فيها سرور ولا ابتهاج لانه قد جفت منها ينابيع السعادة والهناء وضرب عليها الحزن والشقاء

حبيبتى . .

لاشك فى أنه قد خلقت مع العالم التعاسة والآلام وحقا فأن العالم ترفرف عليه اعلام الحزن والشقاء .

حبيبتى ..

مالى اناديك فلا تجيبي ؟ ؟ ولم اعهد فيك الصمت كا نك لاتحني لبكائي ولا تشفق لحالى ؟ ؟

حبيبتي ..

هل أثرت فى قلبك تلك الحياة الهادئه الجديدة ؟ ؟ أم نسيتنى حتي اصبحت لاتعيرى عبراتى اقل اهتمام .

حبيبتى..

انظرى إلي حبيبك وقد فاجأك الموت دون أن يحقق آماله فيك وتركتيه وحيداً يعبث به الزمن ويلعب به الدهر ولم يجد له قلبا شفوقا سوي قلبك الخفاق بالوجد والحنان .

لمن اث شكواى ؟ ومن يرثى لحالى من بعدك ايتها الحبيبه؟

حبيبتى . .

قد عاودتني الذاكره وقد عرفت الحقيقة المؤلمه فما أنا الا امام جثة هامدة سيبليها الثرى

ويا أيها القبر المظلم . .فيك سلوتى وعزائى واليك مصيري فسألحق بحبيبتى فرحت بى عند قدومى

وعاد ابراهيم منحدر الدمع مغبر الوجه مشتت البال مصمما على أن يلحق بحبيبته سعاد تصحبه الهموم والأحزان واراد قبل أن يودع العالم أن يودع كل اصدقائه ومحبيه .

هوى العزلة وأحب الانفراد وراسل اصدقاءه الذين تركهم ونبذهم مدة طويلة فكانوا يتوافدون عليه لزيارته إلا أنهم كانت تستولى عليهم الدهشة حينما يرون ابراهيم اليوم غير ابراهيم الامس واستغربوا استدعاءه لهم ولم يسبق له أن فعل مثل ذلك .

أرادوا أن يقفوا على حقيقة امره ولم يكونوا قد عرفوا اكثر من أنه كان متيما بحب فتاة قتله حبها

ولما ألحوا عليه لم ير بدآ من أن يشرح لهم حالته فشرحها لهم ببلاغة نادرة وتمثيل متقن حتى ابكاهم جميعا فطيبوا خاطره وأوصوه بأن يستعين بالصبر ويلتفت إلى مستقبله الذى اهمله بيده وبعد المدة ليكافح فى هذه الحياة فكان لا يصغي لقولهم ويقول : —

كيف اكافح فى الحياة وقد ماتت سعاد ! !

ألا تعلمون أنه بموتها قد اظلمت الدنيا في وجهي :

وكيف يستطيع الأنسان أن يعيش بدون أمل ! !
وقد فقدت الأمل بفقدها .

سعاد ! ! !

تلك التى علقت عليها سعادتى وهنائى وآمالى وهاهى قد ماتت فأين السعادة وأين الهناء !

ان أحسن مستقبل لى هو أن أقبر بجوار قبرها فما احسن منه مستقبل . أما انا فقد سئمت الحياة واستعذبت الممات فأن قلبى أصبح دائم الحسرات .

مرض ابراهيم ولم يكن بقربه سوى خادمته نجيه التى تحبه كثيراً لأنها لم تر نعمة كالتى رأتها على يديه ولم تحظ بعيشة سعيدة هنيئة كالتي عاشتها فى منزله فكانت تبكي على الدوام من أجل سيدتها سعاد واشفاقا على سيدها ابراهيم .

وهاهو ابراهيم يراسل اقاربه ليكونوا بالقرب منه فى مرضه لانه أحس لقرب لحاقه بحبيبته سعاد .

الفصل العاشر

الخاتمة

حقا ما السعادة غير حلم تفسيره وهم وخيال لان العالم كله غرور فى غرور . وصدق قول الفيلسوف « او فيد » (ان الحب كله مخاوف مزعجة) وقول قاسم امين : (الحب اوله هزل وآخره جد) لقد اصبحت حياتى كلها مخاوف مفزعة وخيالات مزعجة فما نلت من السعادة بقدر ما نلت من الحزن والآلام ، وأن الحب الذي يعبثون به فى أول نشأته هاهو قدأصبح جدياحتى أكل جسمى وفتت عظمى ،،

كم أكون سعيدا لو اختارنى ربى لجواره . أنها نعمة كبيرة أحسد عليها . كيف لا أحسد وسألاقى حبيبتى التى حرمتني الدار الفانية رؤيتها وما أنا سأراها فى دار الخلود حيث لاعدم ولا فناء . ويل لك من عمم قاس ! ! !

قد هدمت آمالا كادت أن تتحقق . وفرقت بين قلبين كان يستحيل على أى انسان مهما أوتي من قوة أن يفرق بينهما .

ويل لك . . .

قد تحققت امالى الخبيثة ورغباتك التى لاتحوى غير المكر والخداع . وكانت النتيجة أن عاجلت المنية حبيبتى وقريبا يلقانى الموت فاتحا ذراعية مرحابى ليودعنى عند من أئتمنتها على قلبى فكانت مخلصة وفية . .

ولكن اظن هذا هذيان وجنون ماذنب هذا العم ؟ هل الموت متوقف على ارادته ولا ينفذون مشيئته . حاشا وكلا . . الموت والحياة بيد الله فهذة مشية ولن تجد لسنة الله تبديلا ومتى أراد حصل المراد . ولكن عاجلتك المنية ياحبيبتى وكنت اود أن أسمع منك وصيتك قبل أن تفارقي الحياة . .

بم اوصيت ولمن اوصيت ؟ ؟

هلا اوصيت على حبيبك بأن يعيش وحيدا فريدا فى هذا العالم ، ، ، ،

بم اوصيت ولمن اوصيت ؟ ؟

هلا أوصيت على بأبنه بعد أن يفقد ابراهيم والديه تتم المأساة لمحزنه بوفاة حبيبته ! !

حبيبتي ... كان بودى أن يفنى العالم كله وأنت تبقين لكى لاراك تموتين قبلي

أيها الموت

ما اقساك . هلا اشفقت عليها وامهلتها برهة وهي بين يديك مستسلمة لقضاء الله لكى تسمع وصيتها الاخيرة اظنك لا تعلم بأن لها حبيب . ولو علمت بأن حبيبها هو أنا لامهلتها حتى أكون بالقرب منها ساعة احتضارها وبيدي أسبل عينيها الجميلتين بعد أن اضع على جبينها قبلة هي قسم الوفاء والاخلاص .

لو كانت الطبيعة ارادت أن تسعدنى لابقت لى حبيبتى التى لم اتمتع بها اكثر من دقائق معدودات وقاسيت من اجلها ما قاسيت . ولكنها ارادت شقائى فهاهى تسقيني كأس الهموم والاحزان

ايتها الطبيعة

انى أتقبل كأسك هذا بصدر رحب ونفس مطمئنة وسأجرعها دون ملل اوضجر لأني يئست واصبحت بائسا

ولا شيء في هذا العالم يعجبني ولم اعجب احدا لأني كرهت العالم واحتقرت كل ما فيه ما دامت قد رحلت عنه سعاد.

صباح : اظنك فرحة مسروره فبئس اقتراحك وبئست مشورتك .

وانت يامن القبك بذى المتحجر فرقت بيني وبين حبيبتي على أمل أن يسعد بها ابنك فكأنك اردت شقائي حيث تريد هناء ولدك الذى لم تزد معلوما عن معلوماته طفل في مهده رحمة الله عليك ياسعاد كنت اوسع منه علما واغزر ماده فكيف يكون الوفاق بينكما وانتما زوجين

كيف يكون الوفاق بين جاهل ومتعلمة ساذل ووديعة الاخلاص طيبه القلب يتظاهر بالجاه والثروة وهو لايعلم ان الاخلاق فوق كل شيء . فأني أضع ماله وجاهه وعلمه أيضا أن لم تتقدم عليهم الاخلاق تحت قدمي لأنها صفات لاتكسب صاحبها غير الحقارة والامتهان مادام صاحبها ليس متحليا بمكارم الاخلاق :

سعاد ! !

أنظري اليهم جميعا : هاهم اعداؤك كيف تحققت آمالهم

ولكن ماأقساك ايها الدهر الخائن انت وحدك الذى سلبت هناءنا وسعادتنا وفرحت فينا اعداءنا

لو كان في قلبى مثقال ذرة من الأمل لعللت النفس بالحياة ونسيان الماضي ولكن هاهي تخيلات الماضى بالآمه واحزانه تمثل امامي كأنها رواية تمثيلية من نوع الدرام عرفت اولها وأبين آخرها : حقيقه ليس لتلك المأساة آخر فأنى لو اهتديت الى آخرها لعرفت مصيري الذى لامفر منه وهو الموت

آه : أني أحس بدوار شديد فى رأسي لأن الساعة قد قربت :

ما أشقانى . قد خيب الدهر ظنى ويا ليت قلبي لم يتصل بحبك ياسعاد :

هاهو شبح الموت آراه يتقدم مني باسطا ذراعيه ليضمنى الى صدره . ولكنى أراه يتقدم منى ثم يتأخر . فلم تتأخر ايها الموت ؟ ؟

اتشفق على ؟ ؟ تقدم فأني اتمناك فرحا بلقائك فأقبل على لاضمك أنا بين احضانى مرحبا بك انت وحدك منجدى من ورطتي ومخلصى من شدتي فأقبل بالله عليك سريعا بلا

توان ومن المضحك أنى أرجوك واتمناك وغيرى يتجنبك ويفر منك : أني أنشدك وأناجيك كما أناجى حبيبتى كان حبك قد أصبح فى قلبي مماثل لحبها بينما غيرى يمتلىء قلبه رعبا منك ولكنهم جاهلون : فليوقعهم الدهر القاسي كما اوقعنى وتركنى بلا معين وهم يعرفون ساعتئذ أنك دواءهم الوحيد

تكاثرت بي العلل واشتد بي المرض واصبحت لا قدرة لى حتى على النطق فمرحبا بك ايها الموت عجل بى لألاقى محبوبتى هناك . هاهى الدنيا قد أظلمت . وهاهو وجه السماء قد اكفهر . ماهذا الظلام ؟ ؟

وماهذا الاكفهرار

ولم أراك تبكين ايتها السماء ؟

فلم ار فى بكائك فائدة أو سلوى :

لماذا تبكين ايتها السماء اتشفقين على ساعة احتضارى؟ مادموعك هذه سوى تظاهر لا اعبأ به ولا أهتم له فربها أن تجف لأنها تود أن تواسينى قبل موتى وهذا كذب وبهتان أما انت ايتها الشمس فابتسمى ولو أنى لا افقه معنى الابتسام لأنى أرى تلك الدموع المتساقطة ماهي الا دموع شماتة لانى

فقدت كل حواسى واصبحت لا اميز شيئا ولا أعرف شيئا اكثر من أنى قريبا سأكون الى جانب سعاد :وانت أيها الطير مالك تصيح فوق رأسى ؟

اظنك تنعيني

حقيقة أنى اسمع منك تغريدا موحشا على خلاف عادتك أنها لنغمات مؤلمة موقعة على قيثارة الآلام او كأن تغرك يد هذا أشبه عندي بأنين الثكلى .

لماذا ايها الطائر تغرد هذا التغريد الموحش ؟ ؟

من احرق قلبك

تحب امثلى ؟ ؟

أم فقدت عزيز لديك .

وانت ايتها الريح

قفى فأن كان غرضك المواسات فخففى عن ألمك ولتهدأ مكامن احزانك

وأن اردت أن تخدمى بائسا تعس الحظ مثلى فرجوتك بحق من خلقك وقوة من أوجدك بأن تحملى إلى سعاد فى قبرها تحية قلبه مبعثها الحب الذى كان سببه نظرة ولقاء

صدفة ولم يتغير :

احملى اليها اخلاصى الذى سيرافقنى فى قبرى .وخبريها بأننى لم أخن عهدها بل مازلت مقيما على حبها محتفظا به إلى يوم اللقاء

سعاد

قلبى يهتز طربا وفرحا كلما لله عبات أن من يبسل طليك الرحمة والغفران .

سعاد .

هاهى عينى قد قربت أن تذسبل وأرى النور يتضائل امامها وكأني اشعر بالدوار الأخير .

أرى شموسا ورياحا ونجوما كأنى أرى سحراً

ويخيل الى اننى قد انتقلت من هذا العالم ..

ماأجملك أيتها الملائكة وما املى طيفك الآلهى .

ثم أخذته سنة من النوم فقام والكل يبكون حوله كان اصدقاؤه وأقاربه وكل محبيه صامتين بجواره كأن على رؤوسهم الطير وبقلوبهم يبتهلون إلى الله بأن يمن عليه بالعافيه ويقرب له ساعة الشفاء .

هاهم يسمعون صوت ابراهيم تختنقه حشرجة الموت وهو نائم تردد الفاظه الاحلام التى يراها فى نومه . أنه يتخيل ويرثى حبيبه بالفاظ متقطعه وهم يسمعون رثاءه ويبكون ثم ينظرون إلى عينيه الجميلتين فيرونهما مطبقتين وهو فى سبات عميق ونوم هادىء وهاهى بعض الفاظه التى ينطق بها ويصعب على الحاضرين تفسيرها : —

سعاد . .

مرضت فعادك الاطباء على أمل أنك مريضة ولكنهم جاهلون بمرضك . كانوا يفحصون جسمك فيصفون لك الدواء معللين النفس بالشفاء ولكنهم لا يعلمون بأنك لم تكونى مريضة بجسمك ولا بأي مرض ظاهر يسهل معالجته أو مرض باطني يدركه اطباء الأمراض الباطنيه .

وماعلموا أن مرضك مرض نفس لا مرض جسم لأنهم لو يعلمون مرض النفس لوصفوا لك رؤية حبيبك ولا يقنوا بأنك مريضه بالنفس بالجسم . فكانوا مخطئين فى كل مافعلوا فلم يفرقوا بين المرضين مرض النفس ومرض الجسم فكأنك قد مت ضحية خطأهم أو نتيجة جهلهم .

حبيبتي - -

كنت معك فى الدار الأولى أبادلك الحب من اعماق قلبي فما قصرت فى واجبك يوما ولم اخلف لك وعداً ولم انكث لك عهدا ولم اهمل شأنك .

أن اكبر اهانه واحتقار للحب هو الأهمال إذ لا تأتي تلك الأهانه من العنف والقسوة والقوة والشدة بل من الأهمال .

فهل اهملتك ياحبيبتى حتي ظننت أنى احتقر حبك فغضبت وتألمت ومرضت ومت نتيجة هذا الأهمال ؟ ؟

عهدت فيك رقة العاطفة وطيب القلب . واظنك تعلمين أن المرأة لاتحيي إلا بعاطفتها حتى إذا فقدت تلك العاطفة لاتستطيع الحياة .

وكذلك الرجل لايملك قلب المرأة ويظل مستوليا عليه إلا إذا بادلها هو العاطفة أيضا

فهل تعهدين فى حبيبك أنه يوما ماحادثك بغير عاطفة أو لقيك بغير عاطفة ؟ ؟

حبيبتي - -

للحب ثمن هو مبادلتي وإياك العاطفة المشتركة بيننا لأن لكل شيء في الحياة ثمنا وثمن الحب هو تبادل العاطفة.

حبيبتي ..

أود أن اموت وأنا واثق من نفسي بأني ما قصرت نحوك ولا اهملت شأنك ولا احتقرت شخصك فأموت مستريح الضمير مطمئن النفس. أنهم يفعلون معي كما فعلوا معك. فيأتون لي بالاطباء لمعالجتي. فيأتي الطبيب فينظر في وجهي اولا ثم يجس نبضي ثانيا ويضع سماعته على قلبي ثالثا. ثم يجلس بجواري ويسألني : —

— ما الذي تشعر به ؟

— « فأجيبه مبتسما » أشعر بضعف أعصابي وانهماك قوتي

— فيقول أن درجة حرارتك عادية ومعتدله ونبض قلبك في حالة طبيعيه فكن واثقا من انه في زيارتي الثانية ستكون معافى انشاء الله وسأكتب لك علي دواء ينظم حركة معدتك فأن المعدة بيت الداء. وطريقة استعمال هذا الدواء هو انه سائل تتعاطى منه ملعقة صغيرة قبل كل طعام شرطا أن لا تتجاوز ثلاث مرات في اليوم ثم يودعني بعد ذلك

تاركا لى تذكرة الدواء

ليتك أيتها الحبيبة كنت علي قيد الحياة . فساعة أن يبدأ الطبيب بمعالجتى فأقول له. أزدائي ودوائى هو « سعاد » لأ خفف عنه مشقة الفحص والوصف ولكننى اتحمل فحصهم واتقبل دواءهم مستسلما لقضاء الله وقدرته فماذا أقول ؟ وأن ضرحت له بسبب مرضى فهل يمكنه أن يأتى الى بحبيبتي اشترط عليه كأنني أنا الطبيب وهو المريض بأنه عند رؤيتي لها أشفى تماما وتعود الى الصحة بمجرد أن انظرها ! :

أن مرضى مرضها وعلتي علتها وقد ماتت بمرض النفس الذي اوقف امامه امهر الاطباء مكتوفى الايدي حائرين فى أمرها

وهاأنا قريبا سأموت بهذا المرض : ولن يوجد فى العالم كله طبيب يزاول هذا النوع من المرض وهو مرض الفؤاد حبيبتى - -

قد حيينا بقلب واحد وها نحن قد متنا بمرض واحد!!

مسكين انت يا ابراهيم - -

كل من يراك أو يسمع بحالتك يذرف الدمع السخين على ماقاسيته من الآلام التى لم تتحملها الجبال الرواسى

ولو انك محوط بقلوب منفطرة من الحزن متقطعة الأكباد حسرة عليك . ولكن ينقصهم قلب حبيبتك فياليتـه كان بجوارك لتحي حياة ملئها الأمل محفوفة بالسعادة والهناء .

قد لاحظ أحد اقاربه على وجهه اصفرار الموت فقرب منه صارخا مولولا :

ابراهيم ... ابراهيم ...

لم لا تجيبني؟

أمن شيء تريد أن آتيك به على جناح السرعه ؟ .

ابراهيم ... ابراهيم ...

اسرع باقي الموجودين بالمنزل للالتفاف حوله فكانوا ينظرون اليه ويفركون الكف حسرة على هذا الفتي الذى سيفارق الحياة وهو فى نضرة الصبا وعنفوان الشباب .

هاهى الأصوات ترتفع وتنخفض : —

ابراهيم ... ابراهيم ...

وهنا انفتحت عيناه قليلا وقال بصوت تختنقه العبرات والدموع تنحدر على خديه : —

خففوا عنكم .. خففوا عنكم ..

تسألونني عما أريد وعما اشتهي ..

أني اريد شيئاً بعيداً عنكم ولا تستطيعون الوصول اليه وها أناذاهب اليه بنفسي لانكم تعجزون عن الاتيان به الي ...

فصاح جميع من حوله

ـ وما هو ؟؟ وما هو ؟

ـ هو ـ ـ ل ـ ـ ق ـ ـ ـ ا ـ ـ ـ ـ

س ـ ـ ـ ع ـ ـ ـ ا ـ ـ ـ د

واسلم الروح بهدوء وعلى شفتيه اسم « سعاد »

تمت بحمد الله وحسن توفيقه

كلمة

قضى بطلا هـذه الروايه حياتهما تائهين في «وادى الآلام»

فانتظروا رواية

وادى الآلام

وهى رواية ان تركت الحكم عليها للقارىء لحكم بأنها مكتوبة بدماء القلوب ؟

محمود محمد الصيرفى

الشكر واجب

زارنى بعض اصدقائي وقت ماكنت مشغولا بتأليف هذه الروايه فتصفحوها قبل أن اقدمها الى الطبع فأعجبوا برقتها واثنو على جميل عبارتها ومتانة اسلوبها . وقد تفضلوا فارسلو الى تقاريظهم عنها فلم ار مانعا من ان انقلها للقراء طبق الاصل معترفا بفضلهم عاجزا عن شكرهم وهاهى : ـ

—١—

حضرة الكاتب الروائى محمود افندى محمد الصيرفي

تحية وشوقا وبعد . روايتك التى عنيت بوضعها وسميتها « مملكة الغرام » كنت اظنها قصة عادية واذ بخيالها حقيقة ومواقفها مؤثرة مدهشة فلله درك من شاب قد خدمت العلم وشجعت الأدب . وهاهو ذوقك السليم يتجلى بين سطورها. أتمنى لك مستقبلا زاهرا فى عالم الادب والسلام ؟

عباس ابو الخير

ليسانسيه فى العلوم الاقتصاديه والتجاريا

— ٢ —

عزيزى الاديب محمود افندي الصرفى

انى مهما أطلت واسهبت . لست بموفيك حقك من الثناء ولا بمؤد واجبى نحوك من الشكران علي سراجك المنير الذى هديت به سفينة قد مات ربانها فضلت ولعبت بها الامواج الا وهى سفينة العشاق .

روايتك « مملكة الغرام » كان لها فى نفوسنا احسن وقع وذلك لما هى راميه اليه من سمو المغزى ولرقة اسلوبها وسلاسة حتي يفهمها الصغير قبل الكبير . فهي للآباء عبرة وعظه ولكل عاشق حكمة بالغة فلا فقدك الادب ولا عدم العشاق عذب قلمك والسلام

مصطفى المرسى ابو النجا

بالقسم العالى بمدرسة الفنون والزخارف المصريه

— ٣ —

صديقى العزيز محمود افندى محمد الهمرفى

سلاما وشوقا وبعد فقد تصفحت روايتكم « مملكة الغرام » فوجدت بها هوى نبيلا وحبا طاهرا عذريا . فلله درك من شاب كامل ومقدام باسل سيكون لك انشاء الله فى المستقبل الزوائى حظا باهرا وقسطا وافرا والسلام

محمد توفيق

بوزارة المعارف